الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الاجتماعية

مذكرة بعنوان:

المسألة العلمانية عند جورج طرابيشي

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر أكاديمي في شعبة فلسفة
تخصص: فلسفة عامة

إعداد الطلبة:
إسمهان طواهري
فاطمة خلايفة

إشراف الأستاذ:
بديع الزمان حوري

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الصفة
عبد الفتاح سعيدي	أستاذ محاضر –أ–	رئيسا
حوري بديع الزمان	أستاذ محاضر –أ–	مشرفا ومقررا
عبد الحفيظ البار	أستاذ محاضر –أ–	مناقشا

السنة الجامعية: 2023 / 2024

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتنزل الخيرات والبركات وبتوفيقه تتحقق المقاصد والغايات.

نشكر الله العلي القدير أولا وأخيرا الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدين، فلكل مبدع إنجاز، ولكلّ شكر قصيدة، ولكل مقامٍ مقال، ولكلّ نجاح شكر وتقدير، فجزيل الشّكر نُهديك وربّ العرش يحميك أستاذنا المشرف الفاضل:

الأستاذ الدكتور "حوري بديع الزمان " لقبوله الإشراف، وعلى مجهوداته المبذولة طيلة مشوارنا الجامعي وعلى ما قدمه لنا من توجيهات ونصائح قيمة، كما نتقدم بالشكر والعرفان والتقدير والاحترام لكل الأساتذة الأفاضل وهذا نظير المجهودات التي بذلوها معنا طيلة مسارنا الدراسي الجامعي، فلهم منا أسمى معاني الشكر والتقدير وجزاهم الله خير الجزاء وأبقاهم منبعا للعلم وذخرا لطلابهم.

ونتقدم أيضا بالشكر والتقدير إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد وأفادنا ولو بكلمة،

فالشكر والتقدير والاحترام لهم جميعا.

إهداء

إلى من أفضالها على نفسي ، ولِمَ لا ، فلقد ضحت من
أجلي ولم تدخر جهدا في سبيل إسعادي على الدّوام
(أمي الحبيبة).

نسير في دروب الحياة ، ويبقى من يسيطر على أذهاننا في كل مسلك
نسلكه ، صاحب الوجه الطيب ، والأفعال الحسنة فلم يبخل علي
طيلة حياته
(والدي العزيز).

إلى أصدقائي وزملائي ، وجميع من وقفو معي من أساتذة وإداريين
وساعدوني بكل ما يملكون وفي أصعدة كثيرة .
أقدم لكم هذه المذكرة ، و أتمنى أن تحوز على رضاكم .

إسمهان*فاطمة

الملخص

الملخص

بناء على ما قدمنا في هذا البحث تهدف الدراسة التي قمنا بالعمل عليها على تحديد أهمية عامل مهم وحداثي في العالم اليوم، ألا وهو تطور العقل العربي، على سبيل الوصول للتطور الذي شهده العقل الغربي، وكان سبيل الوصول إلى درجة الوعي التي نريد الوصول إليها حسب مفكرنا جورج طرابيشي هي العلمانية.

وقد تطرقنا في هذه الدراسة على مفهومية العلمانية عند المفكر السوري جورج طرابيشي، وعرضنا فيه أهم ما جاء به فيها، وقد قسمنا هذا البحث لثلاث فصول اعتمدنا في الأول: توضيح صورة العلمانية بشكل عام، ومعاناها عند بعض المفكرين العرب، وفي الثاني نظرة جورج للعلمانية منذ ظهورها إلى الآن والرد عن بعض ناقديها، ووصولا إلى سبل نجاحها في بلداننا العربي، أما الفصل الثالث تطرقنا فيه إلى العوائق التي تواجه تطبيق العلمانية في الوطن العربي، وبيان مسألتي الخلافة والقومية فيها.

حيث إستخلصنا في الأخير إلى أن المفكر السوري جورج طرابيشي برده ودفاعه عن العلمانية، كان يسعى لبلوغ الحداثة والوصول لوعي ينافس العقل الغربي ولا سبيل للوصول إليه إلا عن طريق العلمانية.

الكلمات المفتاحية: العلمانية، الوعي، الديمقراطية، العلمنة.

Abstract:

The current study aims to determine the importance of an important and modern factor in the world today, which is the development of the Arab mind, in order to reach the development witnessed by the Western mind. According to our thinker, "George Tarabishi", the way to reach the level of awareness that we wanted to reach was secularism.

In this study, the concept of secularism according to the Syrian thinker" George Tarabishi" was discussed, as well as the most important things he said about it. We divided this research into three chapters. In the first chapter, we relied on clarifying the image of secularism in general, and its meaning according to some Arab thinkers. And in the second, George's view. Secularism since its emergence until now, responding to some of its critics, and the path to its success in our Arab countries. As for the third chapter, it contains the obstacles it faces in the Arab world and an explanation of the issues of caliphate and nationalism there.

What we conclude in the end is that the reaction and the defense of George about secularism were seeking to achieve modernity and reach an awareness that competes with the western mind, and there is no way to reach it except through secularism.

Keywords: secularism, awareness, democracy, secularization, awareness

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
كلمة شكر	
الإهداء	
ملخص	
الفهرس المحتويات	**I I I-I**
مقدمة	**أ-ج**
الفصل الأول: مفهوم العلمانية ونشأتها وموقف بعض المفكرين منها	
تمهيد	**02**
المبحث الأول: تعريف العلمانية	**03**
المطلب الأول: تعريف اللغوي للعلمانية	**03**
المطلب الثاني: تعريف الإصطلاحي للعلمانية	**04**
المبحث الثاني : نشأة العلمانية ومراحل ظهورها	**07**
المطلب الأول: نشأة العلمانية، الأسباب والظروف	**07**
المطلب الثاني: مراحل ظهور العلمانية	**11**
المبحث الثالث : أسس العلمانية وموقف بعض المفكرين منها	**13**
المطلب الأول: أسس العلمانية	**13**
المطلب الثاني: موقف بعض المفكرين منها	**17**
خلاصة الفصل	**23**

الفصل الثاني : العلمانية في الإسلام والوطن العربي عند جورج طرابيشي	
تمهيد	**25**
المبحث الأول : بذور العلمانية في الإسلام وبعض مظاهر الحداثة	**26**
المطلب الأول : بذور العلمانية في الإسلام	**26**
المطلب الثاني : مظاهر الحداثة عند جورج طرابيشي	**30**
المبحث الثاني: العلمانية في الوطن العربي وشروط نجاحها	**31**
المطلب الأول : العلمانية في الوطن العربي	**31**
المطلب الثاني: شروط نجاح العلمانية في الوطن العربي	**31**
المبحث الثالث: رد جورج طرابيشي عند الجابري وحسن حنفي	**33**
المطلب الأول : رد جورج طرابيشي على محمد عابد الجابري	**33**
المطلب الثاني: رد جورج طرابيشي على حسن حنفي	**33**
خلاصة الفصل	**35**
الفصل الثالث : عوائق تطبيق العلمانية في الوطن العربي	
تمهيد	**38**
المبحث الأول : إشكالية الدين والمجتمع المدني	**39**
المطلب الأول : العلمانية والدين	**39**
المطلب الثاني : العلمانية والمجتمع المدني	**42**
المبحث الثاني : إشكالية مسألتي الخلافة والقومية	**44**

المطلب الأول : مسألة الخلافة	**44**
المطلب الثاني : مسألة القومية	**47**
خلاصة الفصل	**50**
الخاتمة	**52**
المصادر والمراجع	**54**

مقدمة

مقدمة

لقد بلغ العالم اليوم درجة من التطور الأيديولوجي والنهضوي على جميع الأصعدة، لا سيما الوعي الذي هو أساس قياس مدى تطور أي دولة، سواء كان فكريا أو ثقافيا أو إجتماعيا أو حتى سياسيا او إقتصادي، ما يعني في كل الميادين التي يعايشها الانسان، وما دمنا ذكرنا الوعي والتطور بالعقل البشري وجب علينا ذكر العلمانية، التي ترتبط به إرتباطا وثيقا، وهي موضوع معالجتنا في هذا البحث.

لا يخفى علينا ما مدى الضجة التي أثارتها العلمانية حتى اليوم، من ناحية أنها سبيل للتطور كما ينظر لها البعض، ومن ناحية أخرى أنها مرفوضة قطعيا لدى البعض الآخر، فالعلمانية في بداياتها كانت مجرد شعار ومطلب للحضارة في الغرب بحسن استعمالهم لها والتوافق على ما تقدمه العلمانية للفكر الغربي، وما نتج عنها من فكر جعلهم يبلغوا التطور الذي وصلوا له اليوم، لكن الحال عند مفكري العرب لم يكن كذلك بل ضلت تسمى بالدولة المتخلفة تسعى للتطور، كما ذكرنا سلفا فقد اعتبر مفكري الغرب أن سبيل وصولهم للنهضة اليوم، هي العلمانية وحسن إستعمالهم لها، أما سبيل النهضة العربية ظل يبحث المفكر العربي لسبيل يخرجه من التخلف، فبدأ البعض قياسا على النهضة الغربية من سقوط الشيوعية وظهور العلمانية للوصول للتقدم اليوم، في حين ان بعض مثقفي العرب من تبناها وكانت اساس التقدم، والبعض الآخر رفضها باسم طمس الهوية الدينية والعربية، وما بين هذا وذاك ضلت العلمانية ما بين سبيل التطور والحداثة، وبين رفض لاذع لها، وقد أثار موضوع العلمانية ولا يزال، محل اهتمام مفكري وفلاسفة وباحثين فيها، من بينهم المفكر والناقد السوري جورج طرابيشي الذي هو محل بحثنا اليوم في موضوع مسألة العلمانية عنده، الذي ينفرد برأيه تجاهها خلافا مع الفكر الذي يصوره بعض المفكرين الرافضين لها.

لقد حاول جورج طرابيشي توضيح النقاط الأساسية لنجاح العلمانية في الوطن العربي، وبين مراكز نجاحها لبلوغ ما وصل له الغرب بها، وبطريقته وفكره الجريء وضع بوصلة العلمانية في الفكر العربي المعاصر مبرزا معالم نجاحها اليوم، وهو حجة إختيارنا لهذا الموضوع بالذات حيث بالنسبة للعلمانية أنها ذات لبس حاد وخلاف دائم لحد الساعة، لكن بالرغم من كل هذا لا تزال أبحاثها قائمة ونجاحاتها كذلك عند جورج بالتحديد، صحيح أنه يوجد الكثير من المفكرين العرب الذين كان لهم نصيب دراستها وتحليلها من رفض وقبول لها، إلا أن طرابيشي ذو فكر مغاير حيث كانت دراسته تختلف عن الكل، لأنه كان ناقدا ومحاورا جريء، وقد دار موضوع بحثنا حول: "مسألة العلمانية عند جورج طرابيشي "، والتي

تعتبر من أهم الإشكالات الفكرية والحضارية في الفكر العربي المعاصر، إذ يعتبر الوعي العلماني من أهم تقدم البلدان، نظرا لتغيره مع متطلبات العصر اليوم.

من أجل الوقوف على أبرز محطات الفكر والوعي للعلمانية على الصعيد العربي المعاصر عند جورج طرابيشي، وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نعكس إشكالية البحث بالسؤال التالي:

هل يمكن تطبيق العلمانية في الفكر العربي المعاصر مع المحافظة على القدسية الدينية للدول بإعتبارها إرث غربي عند جورج طرابيشي؟

أو بصيغة أخرى:

هل يمكن نجاح العلمانية في الوطن العربي، في ظل الصيغة الدينية السارية في جميع مجالات الحياة العربية عند جورج طرابيشي؟

وتندرج ضمن هذا التساؤل الرئيسي مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما هي العلمانية وما جذورها التاريخية؟
- ماهي العلمانية التي يقترحها جورج طرابيشي للعالم العربي؟، أي هل هي كما في العالم الغربي؟، أم يقدم نموذجا خاصا به؟
- هل علمانية جورج طرابيشي تدعو لفصل الدين عن الدولة فقط، أم تمس جميع مناحي الحياة؟، أي هل هذه العلمانية جزئية أم شاملة؟
- ماهي أسس ومنطلقات هذه العلمانية في الوطن العربي؟
- ما هي مستويات العلمانية، وكيف يمكن أن نحققها في البيئة العربية؟
- هل هذه العلمانية ضرورة حضارية للوطن العربي؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة في البحث إعتمدنا المنهج المقارن بين أراء بعض المفكرين، والنقدي التحليلي المتوج بالرؤية البديلة.

ومن هذا المنطلق كانت **خطة بحثنا** تتضمن **ثلاثة فصول**، مرفوقة بمقدمة وخاتمة: عرضنا في **الفصل الأول** الذي يتكون من ثلاث مباحث، مفهوم العلمانية وعرفناها عند بعض المفكرين، معرجين لأسباب نشأتها ومراحل ظهورها، وحتى يكون بحثنا ناجحا في منهجه المعتمد على المقارنة، فقد كان لزاما أن نوضح موقف بعض المفكرين من العلمانية، على غرار محمد أركون ومحمد عابد الجابري وآخرون، ورد جورج طرابيشي عليهم لبيان صورة العلمانية الحقيقية في الوطن العربي، هذا الأخير ما جاء في المبحث الأخير من **الفصل الثاني** من هذا البحث، المشكل من ثلاث مباحث مستبقين في ذلك التعريف بصاحبنا، وذكر أهم اعماله، وعرض بذور العلمانية في الاسلام وواقعها في الوطن العربي وشروط نجاحها، أما **الفصل الأخير** الذي سميناه عوائق تطبيق العلمانية في الوطن العربي، إقتصرنا فيه على مبحثين

فقط، حيث خصصنا في شقه الأول إلى إشكالية الدين والمجتمع المدني، وفي شقه الثاني مسالة الخلافة والقومية.

يهدف البحث إلى إبراز موقف جورج طرابيشي من قضية كبيرة موضوعة على طاولة التشريح بين الكثير من المفكرين، وهي العلمانية وسبل نجاح تطبيقها في الوطن العربي بناءا على براهينه وحججه، والتي إعتبرها السبيل الوحيد للإنتقال للعالم الحداثي بشكل سلس.

لا يخلو أي عمل وبحث نقوم به من الصعوبات ومن بين أهم الصعوبات التي واجهتنا نحن في هذه المذكرة نذكر منها:

- نقص المراجع والدراسات حول جورج طرابيشي؛
- العامل الزمني (ضيق الوقت) الذي بدا لنا غير كافي للإحاطة بالموضوع بشكل أوسع.

الفصل الأول: مفهوم العلمانية، نشأتها وموقف بعض المفكرين منها

تمهيد:

تعتبر العلمانية من أكثر المفاهيم التي تعرضت للتشويه وسوء الفهم، خصوصاً في مجتمعاتنا العربية، فوصفها البعض بأنها منهج يحارب الدين، ووصفها آخرون بالمنهج الداعي إلى الانحلال الأخلاقي!! وفريق ثالث اعتبر العلمانية إحدى أخطر المؤامرات الهادفة لتدمير مجتمعاتنا الإسلامية ... بينما وصفها مفكرون بأنها الحل الأمثل لإقامة الدولة الحديثة على أسس المواطنة؛ حيث تتحقق العدالة والمساواة لجميع أفراد المجتمع.

وسنحاول في هذا الفصل التطرق لهذه الاختلافات والتناقضات حول مفهوم العلمانية، حيث نستجلي فيها خفاياها، ونميط اللثام عن أسرارها وظروف نشأتها، وآراء المفكرين بها، وموقف بعض علماء المسلمين منها، وذلك عن طريق ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العلمانية

المبحث الثاني: نشأة العلمانية ومراحل ظهورها

المبحث الثالث: أسس العلمانية وموقف بعض المفكرين منها

المبحث الأول: تعريف العلمانية

يعد مفهوم العلمانية من المفاهيم المعقدة، التي كانت محل خلاف الباحثين والفلاسفة، للإدلاء بدلوهم لتعريفها سواء من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية، ولحداثة هذا المصطلح فقد تناولت المعاجم اللغوية عند العرب وغيرهم هذا المفهوم بالنقد والتحليل، مما جعلها تتخذ عدة مفاهيم وأهم ما سوف نلاحظه من خلال تلك التعريفات هو اختلافها وتباينها من فيلسوف لآخر، حسب رؤيته وموقفه منها، وحسب الحقبة التاريخية التي يمثلها.

وسنتطرق من خلال هذا المبحث الذي جاء تحت عنوان تعريف العلمانية إلى مفهومها اللغوي والاصطلاحي، عبورا بمطلبين.

المطلب الأول: التعريف اللغوي للعلمانية

العلمانية بفتح العين مشتقة من كلمة علم بفتح العين، وهي مرادفة لكلمة عالم في الانجليزية Laicisme والفرنسية Laisisme وهما مشتقان من الكلمة اليونانية لاووس (شعب)، (رعاع) أي عكس الكهنة، وهم النخبة في الماضي، من ثم صارت الكلمة تدل على القضايا الشعبية الدنيوية، بعكس الكهنوتية الدينية[1]، الاشتقاق اللغوي للعلمانية هو العلم الذي يرادفه عالم في اللغات الأجنبية، وتعني في مجملها السلطة الدينية مقابل السلطة السياسية، أي فصل الحياة الدينية عن الحياة السياسية أي عزل الدين عن الدولة.

والعلمانية بالإنجليزية Sécularisme وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير دين[2]، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وكلمة العلمانية هي ترجمة لكلمة سيكولاريزم الانجليزية، وهي مشتقة من كلمة لاتينية سيكولوم Saeculum وتعني العالم أو الدنيا وتوضع في مقابل الكنيسة.

العلمانية في كل أشكالها تعني اللادينية، بمعنى الحياة بعيدة عن الدين، أي الدين ليس له مكانة في حياة الإنسانية، وتعني في السياسة انفصال السلطة الدينية عن الأنظمة الحكومية بمعنى الديني مقابل الكهنوتي، هذا ما جاء في معجم الطلاب الوسيط: " العلماني نسبة إلى العلم وهو خلاف الديني والكهنوتي "[3]، هذا ما جاء في معجم الطلاب الوسيط أن العلمانية في كل نواحيها تعني فصل الدين عن كل ماله علاقة بالحياة الإنسانية، كما يرى أنها فصل السلطة الدينية عن السياسية وهي مرادفة للعلم وعكس الكنيسة.

---

[1] مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2009، ص 345.

2 المرجع نفسه، ص 346.

3 كريم سيد محمد محمود، معجم الطلاب الوسيط دار الكتب العلمية، بيروت ، ط 1 ، 2006 ، ص 547.

أما معاجم اللغة الإنجليزية كقاموس المورد، فقد أعطى كلمة Secular المعاني الآتية دنيوي، غير ديني، مدني، غير إكليركي، علمي، غير قانوني، غير منتسب إلى رهبانية[1]، فلقد جاء في المعجم الشامل Secular تعني العلماني الدنيوي[2]، أي غير ديني أو مدني، يشير هذا المصطلح في العلوم الاجتماعية إلى كل ما هو واقعي ومدني وغير ديني والمجتمع العلماني مجتمع يغلب عليه التحرر من قيود الكنيسة والاتجاه في تعاليمه اتجاها علمانيا ويتميز بالرغبة في التجديد والإصلاح، ويتميز هذا المجتمع بعدم اهتمامه بما هو مقدس أو بالقيم المرتبطة بالنزعة التقليدية.

العلمانية أو اللادينية الدنيوية، تعبر عن الواقع الإنساني وكيفية التحرر من قيود الكنيسة، والاتجاه نحو التغيير والتجديد والتنوير العقلاني، وهذا يتحقق بالاستقلال من كل ما هو مقدس والتحرر من الانغلاق والنزعات التقليدية أي عدم قيام الحكومة أو الدولة بإجبار الأفراد تبني أي دين أو عقيدة، هذا ما يعني تحرر الإنسان وقراراته السياسية من المؤسسات الدينية.

المطلب الثاني: التعريف الاصطلاحي للعلمانية

إن مفهوم العلمانية في الاصطلاح محل اختلاف الفلاسفة والعلماء، ومن الصعب العثور على تعريف دقيق متفق بشأنه حول العلمانية، هذا راجع لحداثة المصطلح من حيث الممارسة والاستعمال.

إن المفكر البريطاني (جورجهوليوك) هو أول من أطلق مصطلح العلمانية في الغرب، وذلك عام 1851 م؛ حيث عرف (هوليوك) العلمانية بأنها: تحقيق رفاهية وسعادة الإنسان في هذه الحياة الدنيا عن طريق وسائل مادية، مثل: التقدم العلمي، مع التأكيد على العلمانية لا تعادي الدين، ولكنها نظرة لهذا العالم المحسوس والواقعي مستقلة عن الدين وعن أي حياة أخرى لا يمكن التأكد من وجودها من عدمه [3].

وأخذت العلمانية في الغرب الحديث عدة معان: ففي القرنين السابع عشر والثامن عشر كانت تعني فصل الدين عن الدولة، وفي القرن التاسع عشر تحولت إلى إبعاد الدين عن الدولة، وجاء القرن العشرون ليخفف قليلا من موقف الدولة والأفراد تجاه الدين[4]، ويتمثل هذا التغير الطفيف في عودة السلطة الزمنية للكنيسة الكاثوليكية في عام 1925 م، بإعادة قيام دولة الفاتيكان كوحدة سياسية، بعد أن أدمجت الولايات

1 منير البعلبكي، المورد (قاموس انجليزي عربي)، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ص 591.

2 مصلح الصالح الشامل (قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية)، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ط 1، 1999، ص 478.

3 د .مي سمير عبده المتولي :العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر ، المكتب العربي للمعارف، ط1، القاهرة، 2013، ص 12-13.

4 جون هرمان راندال تكوين العقل الحديث، ترجمة د. جورج طعمة، ج 1، دار الثقافة - بيروت، 1965 .

البابوية في مملكة إيطاليا منذ عام 1870 م، ويتمثل هذا التغير أيضاً في السماح بقيام الأحزاب السياسية المسيحية في أكثر من دولة من دول الغرب[1].

ومن خلال تعريفات العلمانية في المعاجم الغربية، نجد أنها تتفق جميعاً على وجوب إخراج الدين من الصراع السياسي والاجتماعي بشكل عام، لكنها لا تتعرض للإيمان الفردي أو تعادي فكرة التدين إنها فقط تسعى إلى عدم انغماس الدين في الحياة العامة، حتى لا يتعارض ولاء الفرد للدين مع ولائه للدولة، وحتى لا تحدث صراعات بين الأفراد المختلفين مذهبياً ودينياً في المجتمع، خاصة وأن المجتمع الأوروبي شهد مجموعة من العوامل التي دفعت كثيرين للمطالبة بالعلمانية، وإخراج الدين من الساحة الاجتماعية نهائيا[2] .

والعلمانية كما يقول د. فؤاد زكريا: " إطار فضفاض شديد الاتساع، يمكن أن يحتوي في داخله على شتى أنواع المواقف السياسية والأيدولوجيات؛ فمن الممكن أن يكون هناك علماني يميني وعلماني يساري، وعلماني ليبرالي، وعلماني ماركسي، وعلماني متدين، وعلماني غير متدين. وهكذا فإن العلمانية لا تكشف لنا عن الطريق الذي ينبغي أن نسير فيه، وإنما تشير بوضوح إلى الطريق الذي ينبغي أن نتجنبه، ثم تترك لنا بعد ذلك حرية اختيار " المسار "[3].

ويعرف (شبلي العيسمي) العلمانية بأنها جملة " من التدابير، جاءت وليدة الصراع الطويل بين السلطتين الدينية والدنيوية في أوروبا، واستهدفت فك الاشتباك بينهما، واعتماد فكرة الفصل بين الدين والدولة، بما يضمن حياد هذه تجاه الدين، أي دين ويضمن حرية الرأي، ويمنع رجال الدين عن إعطاء آرائهم صفة مقدسة[4].

فالعلمانية هي بمثابة نقطة الانطلاق التي بدأ الفكر السياسي الأوروبي منها إسهاماته الهامة فيما يتعلق بالدولة والفرد والمجتمع، وهي دعوة لتحرير الدولة من سيطرة الكنيسة، وتحرير الفكر الأوروبي من الدوران في فلك دراسة العلاقة بين الدين والدولة، مما جعله يضع نظريات سياسية أثرت في العالم كله، بالإضافة إلى بقاء هذه النظريات واستقرارها قرونا طويلة حتى شكلت العقيدة السياسية الغربية، وأصبحت راسخة في الوجدان الأوروبي[5].

يقول المستشرق (آربري) في كتابه (الدين في الشرق الأوسط) عن الكلمة نفسها: إن المادية العلمية والإنسانية، والمذهب الطبيعي، والوضعية، كلها أشكال اللادينية، واللادينية صفة مميزة لأوروبا وأمريكا، ومع أن مظاهرها موجودة في

1 تاريخ البشرية، المجلد السادس، ج 2. ترجمة: عثمان نويه وآخرين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1971، ص 295 وما بعدها، ص 12.

2 المرجع نفسه، ص 15-16.

3 د. فؤاد زكريا الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، ط 1، دار الفكر للدراسات والنشر، القاهرة - باريس، 1989، ص 80.

4 د. شبلي العيسمي: العلمانية والدولة الدينية، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد 1986، ص 19.

5 د. مي سمير عبده المتولي: العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص 54.

الشرق الأوسط، فإنها لم تتخذ أي صبغة فلسفية أو أدبية محددة، والنموذج الرئيسي لها هو فصل الدين عن الدولة في الجمهورية التركية[1].

مما سبق نلخص مايلي، هو أن: العلمانية تعني عزل الدين عن الحياة السياسية والاجتماعية للأفراد، وظهرت في المجتمع الأوروبي كرد فعل مضاد لتسلط الكنيسة التي جمعت في يدها كل شؤون الحياة، من سلطات تشريعية وتنفيذية وقضائية.

1 د. محمد مصطفى الشناوي د. خالد إبراهيم حسب الله المذاهب المادية جذورها وتطورها دراسة نقدية ،1997 ، ص 111.

المبحث الثاني: نشأة العلمانية ومراحل ظهورها.

بعد أن تناولنا العلمانية تعريفاً، ننتقل إلى دراسة كيفية نشأتها ، ذلك أن منهجية البحث تفرض أن نجيب عن تساؤلات قد تدور في ذهن القارىء؛ ولعل أولها : ما هي الأسباب التي أدت من قرب أو من بعد لنشأة العلمانية؛ وثانيها : ماهي الأطوار والمراحل التي مرت بها لظهورها ؟.

المطلب الأول: نشأة العلمانية، الأسباب والظروف:

ولم يكن غريباً في الغرب أن تجد العلمانية مكانها، فقد فرضت ذلك ظروف الغرب، حيث عاشت أوربا ظروفاً دينية، واجتماعية وسياسية، واقتصادية سيئة في القرون الوسطى؛ نتيجة تسلط الكنيسة وتحالفها مع الظالمين على شعوب الغرب المختلفة، ووقوفها في وجه كل تفتح فكري أو كشف علمي، وتجاوزها ذلك الحجر على العقول، إلى حجر أخطر على القلوب حين فرضت صكوك الغفران وقرارات الحرمان، وراحت تتاجر بها وتتخذها وسيلة للكسب الحرام، وغرقت أوربا في دماء ضحايا الكنيسة، حيث سقطت المئات بل الآلاف تحت مقاصل محاكم التفتيش ومشانقها، غير من غيبوا في غياهب السجون.

وتبدو نشأة العلمانية في أوربا أمراً منطقياً مع سير الأحداث هناك، إذا رجعنا إلى الظروف التي ساعدت على ذلك، والتي على رأسها عبث الكنيسة بدين الله المنزل وتحريفه وتشويهه، وتقديمه للناس في صورة منفرة، دون أن يكون عند الناس مرجع يرجعون إليه لتصحيح هذا العبث وإرجاعه إلى أصوله الصحيحة المنزلة، كما هو الحال مع " القرآن " الذي تكفل الله بحفظه من كل عبث أو تحريف خلال القرون والأزمان.

فالعلمانية إحدى ثورات العقل المسيحي ضد سلطان الكنيسة المسيحية، وقد كان لظهور العلمانية في الغرب أسبابها، ومبرراتها التي أقنعت فلاسفة النهضة الأوربية بأنه لا سبيل إليها إلا باستبعاد رجال الكنيسة والدين عن مجال التوجيه في الحياة.

ونحن نعرض بعض الأسباب والمبررات التي كانت سبباً في نشأة العلمانية فيما يلي :

أولا_ القداسة التي احتلتها الكنيسة الكاثوليكية:[1] كانت الكنيسة حينها تحكم بطريقة دكتاتورية نوعا ما فهي التي كانت تنظم حياة الأفراد وتحكم سلوكهم وتصرفاتهم، وتتولى أحكام كان من المستحيل أن يتخيل البعض أن تكون على عاتق الدولة فهي كانت الآمر الناهي حينها، فرضت سيطرتها بداية من الحياة العادية والأحوال الشخصية وصولا إلى حكم وتنظيم المجتمع الكنيسي وما يندرج تحته.

1 أحمد قادوح، العلمانية في الإسلام، دار السيرة،ط1، بيروت، لبنان، 1995، ص 24.

ثانيا_ طائفية الدولة: [1] بشكل عام كانت الدولة طائفية، فلم يكن الكاثوليك دين دولة فحسب، بل صعد إلى تحكم رجال الدين في حكم الدولة، وإرغامهم على طاعتها والتعرض لكل من يرغب في الخروج عن حكم الكنيسة.

ثالثا_الوضع الاجتماعي والديني :[2]كانت العالمية العظمى من الروم وسكان مستعمراتهم من الأميين السذج، وكان هؤلاء على درجة عالية من الضحالة الفكرية، نتيجة الحكم الذي يعتبر دكتاتوري استبدادي نوعا ما، لأنهم كانوا يتلقون الأوامر وينفذوها فقط حيث كانت "تدعو مواطنيها إلى التجرد من الدنيا والانقطاع للآخرة "، مسوغة ذلك أنه ما جاء في الإنجيل والكتب السماوية المقدسة، فكانوا يسعون لتكبيل العقل وتوجيهه للدين أكثر عن طريق ما ورد في كتبهم السماوية، فهم يسعون لتثبيت ما ينفعهم بالكتب السماوية .

رابعا_ الوضع العلمي:[3] كانت الكنيسة هي التي تشرف على الوضعية التعلمية والتعليمية، وهي من تسطر وتقرر ما يجب أن يُدرس وما لا يجب، وما يخدم مصالحها وإلغاء ما يُمكِن من إعمال العقل حتى لا ينقلب عليهم، وما اشد تمسك الكنيسة بهذا الأصل الجليل" السلطة للقساوسة، والطاعة للعامة".

وفي هذا الصدد نصل إلى أن لا سبيل للوصول للعلم في ضل جو كنيسي يحتكر العِلم لصالحه، وما يشاع ويطبق هو فقط من يصنع التشبث بالعبادة، وعبادة الإنجيل لا تخرج عن الإيمان بما يقولوه القساوسة، وهذا هو الواقع الذي عاشته أوروبا قبيل ظهور العلمانية، وهذه هي جملة الأسباب الرئيسة التي كانت السبب في نشأة العمانية.

ومن هنا يمكننا أن نقول أن المسيحية كانت تحكم في الفرد الأوروبي من جميع النواحي الحياتية وكبلت العقل الأوروبي،حيث ساد عليها الظلام والانغلاق والتخلف في جميع نواحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وحتى الدينية فكانت تحرف الدين كذلك لما يناسب مصالحها، كان هذا كافي لتحريك والنهوض العقل الأوروبي وقلقه بشأن مصيره ،مما أدى به إلى الرغبة في إسقاط هذا الحكم اللي يعيق النهضة الأوروبية،إلا أنه لم يكن السبب الرئيس بل هناك أسباب خارجية أخرى ظهرت خلال القرون الوسطى، جعلت الإنسان الأوروبي يزيد من عدائه تجاه الدين ورجاله، وهذا ممهد كذلك لظهور العلمانية في الغرب الحديث، وتعتبر كل هذه الأخطاء التي مارسها رجال الدين كافية لظهور العلمانية نذكر منها ما يلي:

1 أحمد قادوح، العلمانية في الإسلام،مرجع سابق، ص 24.

2 سفر عبد الرحمان الحوالي، وباء العلمانية، مكتبة منار السبيل، ط1، القاهرة، مصر، 1989، ص 160.

3 أحمد قادوح، العلمانية في الإسلام، مرجع سابق، ص 25.

1. **حجر العقول وتكبيل الإبداع الفكري :**[1] في ظل القاعدة الكنسية التي تقول:" أن الجهالة أم التقوى" نشأ الصراع القائم بين الدين والعِلم في أوروبا، انتهت بانتصار رجال الدين على العلم بحكم قوة واضطهاد رجال الدين وسيطرتهم على العامة باسم الدين،فحس البعض ببعض الجمود الفكري حيث لا جديد فيه، فقط أوامر دينية ومعارف قديمة وجب إتباعها لكن الاستمرار فيها أوقع الكنيسة في صراع مع العلم والعلماء، بسبب خوف رجال دين من أن يأثر العلم على العامة وتفقد سيطرتها ويحصل الانقلاب عليها، فقد كان يُعاقب كل من يعمل عقله في جانب حياتي ما ويرفض الخرافات التي أصبحت منهج حياة تحت شعار الدين، فمثلا منذ أن ظهر إلى الوجود ما يسمى المسيحية الرسمية في مجمع نيقية (325م) والكنيسة تمارس الطغيان الديني والإرهاب في أبشع صوره، ففرضت بطغيانها هذا عقيدة التثليث قهراً، وحرمت ولعنت مخالفيها، بل سفكت دماء من ظفرت به من الموحدين، وأذاقتهم صنوف التعذيب وألوان النكال، ونصبت نفسها عن طريق المجامع المقدسة "إلهاً" يحل ويحرم، ينسخ ويضيف، وليس لأحد حق الاعتراض، أو على الأقل حق إبداء الرأي، كائناً من كان، وإلا فالحرمان مصيره، واللعنة عقوبته لأنه كافر "مهرطق". كان الختان واجباً فأصبح حراماً، وكانت الميتة محرمة فأصبحت مباحة، وكانت التماثيل شركاً ووثنية فأصبحت تعبيراً عن التقوى، وكان زواج رجال الدين حلالاً فأصبح محظوراً، وكان أخذ الأموال من الأتباع منكراً فأصبحت الضرائب الكنسية فرضاً لازماً، وأمور كثيرة نقلتها المجامع من الحل إلى الحرمة أو العكس دون أن يكون لديها من الله سلطان، أو ترى في ذلك حرجاً، وأضافت الكنيسة إلى لغز "الثالوث" المعمى عقائد وآراء أخرى تحكم البديهة باستحالتها، ولكن لا مناص من الإيمان بها والإقرار بشرعيتها على الصورة التي توافق هوى الكنيسة كقضية الاستحالة في العشاء الرباني وعقيدة الخطيئة الموروثة وعقيدة الصلب والعذراء والطقوس السبعة، كل هذه فرضتها على الأتباع بحجة واحدة: هي أنها أسرار عليا لا يجوز الخوض فيها أو الشك في صحتها، وكان العامل المساعد على إنجاح محاولاتها الذي تتمثل فيه صورة الطغيان الديني جلية واضحة ما ذكرناه من احتكارها للمصادر الدينية، ذلك الذي جعلها حاجباً، لا يستطيع أحد دخول الملكوت إلا بواسطته، ولا يمكنه الاتصال بالله إلا من طريقه، وهي حق لا مرية

1 أحمد قادوح، العلمانية في الإسلام، مرجع سابق، ص 29.

فيه ما دامت الكنيسة هي التي قررته إذ هي معصومة عن الخطأ منزهة عن الزلل، إضافة إلى ذلك أن ماضي الكنيسة حافل بمثل هذه المآسي مما أدى إلى ثورة بعض رجال العلم عليها لكنهم اضطهدوا وكان سبب ثورتهم الأول والأخير هو التخلص من قيود الكنيسة والسعي يواله علمي أكثر.

2. **الحجر على القلوب:**[1] المتمثل في صكوك الغفران أي من كان لديه ذنب ويريد أن يُكَفر عنه فإنه يشتري صك من الكنيسة ويدفع لهم المال للتكفير عن هذا الذنب، كان هذا كذلك لمصلحة رجال الكنيسة في نهب أموال العامة.

3. **تحالف الكنيسة مع الأسر الحاكمة:** [2] حيث كانت الأخيرة تستمد بقائها من صلتها النسبية بأحد القساوسة لأنهم مقدسون ولا يحق للمقدس أن يُعترض عليه.

4. **اضطهاد الأقليات الطائفية:**[3] تمثل هذا الاضطهاد في حروب الكاثوليك والبروتستانت، في ألمانيا حيث لم يكن البروتستانت مذهب جامع لكل مسيحي أوروبا الذي ولد لدى إتباعه حاجة لحماية سياسييه والأمراء اللذين كان هدفهم ترأس الكنائس القومية بدل سيطرة رجال الدين الكاثوليك عليها إلى أن احتد الصراع بين الكنيستين للوصول وإدراكهم "بعقم المنازعات الدينية، للوصول إلى ما يسمى بالتسامح الديني في أوروبا "، وهذا الوصول كان قد أدى إلى صراع بين الكنيستين (البروتستانت والكاثوليك) حول الحكم لكنه لم يصل إلى أي حكم.

5. **الطغيان السياسي:**[4] أما الطغيان السياسي فقد بلغت سلطة البابا الدينية المهيمنة على ذوي السلطة الإدارية والسياسية أوجها، حتى كان باستطاعة البابا أن يتوج الملوك والأباطرة، وأن يخلع تيجانهم إذا نازعوه ورفضوا أوامره، وأن يحرمهم من الدين، وأن يحرم شعوبهم الذين يوالونهم، ولا يستجيبون لأوامر الخلع البابوية.

1 أحمد قادوح، العلمانية في الإسلام، مرجع سابق، ص 30-31.

2 المرجع نفسه، ص 31.

3 سفر عبد الرحمان الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار الهجرة، السعودية، 1987، ص 19.

4 جمال فؤاد خليفة، العلمانية وخطرها على المجتمعات الإسلامية، جامعة الازهر، القاهرة، مصر، 2021، ص 29-30.

المطلب الثاني: مراحل ظهور العلمانية:

مرت العلمانية ومنذ ظهورها تطبيقيا على ارض الواقع بمرحلتين، كانتا من أهم مراحل الفكر السياسي الأوروبي.

فكانت المرحلة الأولى فيها تسمى بالمرحلة العلمانية المعتدلة، وكانت أول مرحلة أي بداية تطبيق مصطلح العلمانية على ارض الواقع، أما المرحلة الثانية فكانت عبارة عن تطور للعقل الغربي بالنسبة لمفهومها في المرحلة الأولى .

أولا - المرحلة الأولى العلمانية الثورية: تلك التي كانت العلمانية فيها تعني عزل الدين والكنيسة وشتون المجتمع، ومؤسساته لحساب بناء الدولة البورجوازية، وفي سبيل دعمها لتصفية اللاهوت المسيحي الكاثوليكي، وتنقيته مما هو غير عقلاني والسعي من مثل: أسرار عقيدة التثليث والطبيعة الإلهية للمسيح، والعمل على رفع الوصاية الدينية الكنسية عن التعليم تمكينا للفطرة الإنسانية من الاختيار، وعرفت أوربا العلمانية بهذا المعنى في طورها الأول، عند فلاسفة ومفكرين من أمثال : هويز1588 - 1679 م ، و " لوك 1632-1716م" ، ولينتر 1646م، وروسو 1682-1712م.[1]

وتسمى هذه المرحلة بالمعتدلة ، وهي تلك المرحلة التي اعتبر فيها الدين أمرا شخصيا لا شأن للدولة فيه ولكن الدولة تقوم بحماية الكنية وبخاصة في جباية الضرائب والعلمانية وهي تسعى إلى فصل الدولة عن الكنيسة تبرر ذلك بالحرص على الدين المسيحي نفسه من أن يدخل في ميادين سياسية ، واجتماعية ليست في اختصاصه ، كما أنها تبرر ذلك بالحرص على استقلال السلطة الكنسية الطاغية ، وعندما تعمل العلمانية على فصل أو إبعاد المؤثرات والمبادئ الدينية من حياة المجتمع العريضة ترفع شعارات التحرر والتقدم ، مشيرة إلى خلو المسيحية من تعاليم في تلك الميادين.

وقد تم في هذه المرحلة تقسيم العمل بين الدولة والكنيسة " فالدولة لها حق السياسة والاقتصاد والتعليم العام والتشريع ، والكنيسة لها ما يتعلق بالأسرة من زواج ومراسمه ، والتعميد وطقوس الوفاة ، ونظام الرهبنة ، وحكم إلغاء الزواج ... الخ .[2]

إلى هنا نستطيع القول بأن هناك دوافع وأسباب جعلت رجال هذه المرحلة يقومون بفصل الدين عن الدولة، وقد حصر الدكتور " البهي " الدوافع في عدة نقاط هي :[3]

1 د. محمد عمارة، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام، دار الشروق، القاهرة، 1996، ص 12.

2 د. محمد البهي، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1981، ص 15.

3 د. محمد البهي، العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ط 1، 2019، ص 16.

- الحرص على سيادة الدولة، وسيادة مطلقة في مواجهة سلطة الكنيسة، ووصاياهم السابقة في القرون الوسطى .
- اتهام المسيحية بأن تعاليمها تتنافى مع العقل .
- النظر إلى الدين في التربية على أنه ضد الطبيعة.
- النزاع الذي دار بكثرة، وشغل الفكر حول السلطة والسلطة المدنية .

ثانيا - المرحلة الثانية العلمانية المعتدلة: هي مرحلة العلمانية الثورية التي مثلها فلاسفة ثوربون من أمثال :" فيرباخ 1804 - 1872 م "، و " ماركس 1818 - 1883م"، و " لينين 1873-1924 م "، وهي المرحلة التي استهدفت فيها هذه العلمانية الثورية هدم الدين، وتخليص الاشتراكية ومجتمعها من تأثيراته، وذلك لحساب العدل الاجتماعي - كما يزعم دعاة الشيوعية - ثم السعي إلى مجتمع يزول منه الدين تماماً، وتمحي منه مؤسساته.

فالهدف للعلمانية الثورية، ليس مجرد فصل الدين عن المجتمع، والفصل بينه وبين الدولة، بل السعي في المدى البعيد إلى تخليص الفرد من الدين، وتحريره من مؤسساته.[1]

وهذه المرحلة مرحلة الجناح اليساري أو مرحلة العهد المادي، أو ما يسمى بالثورة العلمانية، على حد تعبير الدكتور البهي، قد تبلورت هذه المرحلة في الفكر الماركسي الذي دعا الناس إلى إلغاء الدين بالكلية، ونبذه من حياة المجتمع والأفراد، واستبدال المادة والعقل محله، واعتبر الفكر الملحد الدين خرافة والموجود هو المحسوس، وأساس الدولة الله ولا الدين، وإنما أساسها الإنسان وحاجاته، وليس الإنسان الفرد، بل جماعة العمال، ولذا يجب أن تكون جماعة العمل هي المعبود في مكان العبادة.[2]

ومهما يكن من أمر فإن العلمانية بدأت في مرحلتها الأولى بفصل الدين عن الدولة، ولكنها لم تقتصر على ذلك، بل تغير مخططها في مرحلتها الثانية ليستهدف إبعاد الدين عن الدولة، ومن كل ميادين الفكر والحياة، سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو تعليمية، ويقتضي ذلك كما يقول الأستاذ أنور الجندي: " أن تخلو دساتير هذه الأمة من أي انتماء ديني، أو جعل شريعة الدين مصدرًا لقوانينها ".[3]

1 د .محمد عمارة، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام ،مرجع سابق، ص 13.
2 د. محمد البهي، العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق، مرجع سابق، ص 19.
3 د. أنور الجندي، سقوط العلمانية،دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1990، ص 24.

المبحث الثالث: أسس العلمانية، وموقف بعض المفكرين منها

المطلب الأول: أسس العلمانية

يوجد للعلمانية أكثر من أساس أهمها ما يلي:

أولا - العقل : يقول " ألبير بايه ": إن العلمانية تضمنت مفهوماً فلسفياً ينص على استقلالية العقل ومقدرته، وهذا هو المفهوم الذي على فرنسا العمل لانتصاره، ولا يمكنها أن تفعل ذلك إلا على حساب المسيحية[1]، وعلى ذلك فالعلمانية تعني الاعتماد على (العقل دون الوحي)، وإرجاع كل المسببات إلى (النواميس الطبيعية) وحدها دون القوة الإلهية الخالقة والمدبرة للكون، واعتماد (العقل) وحده مصدراً للقوانين، دون نظر إلى الشريعة (الإلهية ومقاصدها وأحكامها، وإن هذه العلمانية لا تقيم للدين وزنا فيما يتعلق بسياسة الدولة وتنظيم المجتمع وتنمية العمران .[2]

ولهذا يرى د . فؤاد زكريا أن العلمانية هي في أساسها تعبير عن منهج معين في التفكير، لا ينبغي أن يكون مرتبطاً بالغرب، وأنها تمثل احتياجاً فكرياً دائماً، يمكن أن يظهر في أي مجتمع يحاول كسر نطاق السلطة العقلية والانتقال إلى مرحلة التفكير المستقل، فإذا كان الأمر كذلك فإن قوام العلمانية هي (قيم العقلانية وروح النقد، والتزام المنطق العملي، والاستقلال عن السلطة الفكرية).

ومن ثم فهي ضرورة لازمة لكل مجتمع يتراجع فيه التفكير المستقل، ويحل محله التفكير العاجز الذي يرتكز دائماً على مصدر خارجه، ويرى نفسه أشد قصوراً من أن يستطيع مواجهة المشكلات بنفسه، وبهذا المعنى تكون العلمانية مبدأ أصيلاً تحتاج إليه جميع المجتمعات البشرية إذا وجدت نفسها تواجه صراعاً بين استقلالية الفكر وسلطويته .

ويرى د . فؤاد زكريا " أن الذي تتحكم فيه أي سلطة كانت دينية أو غيرها، يجر وراءه مجموعة من النتائج التي تحول دون حدوث أي تقدم علمي أو فكري أو اجتماعي حقيقي، كالاعتقاد بأن المرء يملك الحقيقة المطلقة، وبأن الشريعة كلها تنقسم إلى أهل الحق الذين ينتمي إليهم صاحب هذا الاعتقاد بطبيعة الحال "، وأهل الباطل " وهم الآخرون جميعاً - مع أن كلا منهما يؤمن طبعاً بحقيقته المطلقة الخاصة به، وكذلك الاعتقاد بأن دور العقل ثانوي أو هامشي وبأن التغير وهم ظاهري، وبأن الاعتماد على التجربة والخبرة والممارسة علامة قصور؛ لأن أرفع الحقائق هي التي تأتي من السلطة العليا" .[3]

---

1 دونوروا ألبير بايه، من الفكر الحر إلى العلمنة، ترجمة: د. عاطف علبي، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986 م، ص28.

2 د .محمد عمارة :العلمانية ونهضتنا الحديثة ، مرجع سابق، ص 130.

3 د . فؤاد زكريا الصحوة الإسلامية في ميزان العقل، مرجع سابق ، ص 70-73.

❖ **آراء المفكرين العرب حول الاعتماد على العقل:**

- يرى مفكرو التيار العلماني أن الدين ممثلاً في نصوص القرآن يجب أن يخضع للعقل البشري واجتهاده، فالتيار العلماني المتشدد والسنة يرى خضوع الدين في جميع نصوصه للعقل، سواء تلك الخاصة بالمعاملات أو غيرها .
- أما التيار العلماني المعتدل فيرى إخضاع الدين في شقه الخاص بالمعاملات فقط لاجتهاد العقل البشري، وأنه لا يجب إضفاء أي قدسية على شق المعاملات، حتى لا يتسم الدين الإسلامي بالرجعية والجمود، خاصة وأن الدين الإسلامي لم يعط ملامح محددة لكثير من الضوابط في مجالات السياسة والاقتصاد والمجتمع، وهنا يأتي دور العقل البشري لتقديم إسهامه في هذا الشأن، بما لا يتعارض مع المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية ؛ كالعدل، والمساواة، والحرية، وغيرها من المبادئ التي لا تمثل عائقاً أمام اجتهاد العقل البشري، وبالتالي فإن الدعوة إلى تطبيق الشريعة لا تكون مرفوضة لدى التيار العلماني المعتدل إذا تم إخضاع هذه الشريعة في شق المعاملات للعقل البشري، دون التقيد بآراء المجتهدين الأوائل في هذا الشأن؛ لأن ما يناسب المسلمين في ذلك الوقت لا يناسبهم بالضرورة في العصر الحالي، وبالتالي فإن فتح باب الاجتهاد هو الحل لتفعيل فكرة الشريعة التي يدعو إليها التيار الإسلامي، وكأنها وعة واضحة من النصوص قطعية الدلالة، وهو ما حاول كثير من مجمو المفكرين العلمانيين إثبات خطئه، مثل: د. نصر حامد أبو زيد، د. حسن حنفي، بتوضيح الفارق الجوهري بين الشريعة بمعنى المنهج والطريق العام الشامل للحياة، وبين الفقه الإسلامي الذي يعتمد أساساً على اجتهاد العقل البشري في لحظة تاريخية ما؛ استجابة لظروف عصره، وبالتالي يجب أن يخرج الفقه الإسلامي من وجهة نظر أنصار التيار العلماني بشقيه المتشدد والمعتدل من دائرة القدسية التي تحيط به.[1]

ويتفق أنصار العلمانية على أن العقل البشري هو صاحب الأولية على ما عداه من مصادر أخرى في مجال السياسة بشكل خاص، وفي مجال الحياة البشرية بشكل عام؛ بل وحتى في مجال تفسير النصوص الدينية نفسها، التي يرى أنصار تطبيق الشريعة أنها نصوص ثابتة وواضحة، ولا تحتاج تدخلاً من العقل البشري، ويستخدمون تفسيرات محددة لنصوص الشريعة غير مسموح بالاختلاف معها، ومن الأمثلة على ذلك ما يلي :

- **<u>يرى د. حسن حنفي:</u>** أن " الأدلة الأربعة التي يعتمد عليها علم الفقه هي القرآن والسنة والإجماع والقياس، القرآن والسنة دليلان نصيان، والإجماع والقياس دليلان عقليان، ولما كان الكتاب والسنة أيضاً يعتمدان على العقل؛ سواء في شروط التواتر، أو الاعتماد عليه كدليل قطعي، أو إدراكه للحسن والقبيح كصفات

1 نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني ، ط 2 ، سينا للنشر القاهرة ، 1994 م ، ص 137-117 .

موضوعية في أفعال، وكأبنية فعلية في المجتمع، كان العقل أساس الأدلة الشرعية الأربعة، والتي انصبت كلها في النهاية في الاجتهاد، أي في دليل العقل؛ فالعقل أساس النقل في دليلي الإجماع والاجتهاد، فالأدلة الأربعة كلها ترتكز على الدليل الرابع دليل العقل، وبالتالي كانت الأولية الفعلية لدليل العقل على دليل النقل. [1]

- **كذلك تمثلت فكرة أولوية العقل على النقل، في كتابي عادل ضاهر**:

(أولية العقل) و (اللامعقول في الحركات الإسلامية المعاصرة)، حيث سعى إلى إخضاع جميع مقولات التيار الإسلامي للعقل، بحيث أثبت في النهاية أن مقولات مثل: (لا اجتهاد مع نص، والإسلام دين ودولة)، وغيرها من مقولات الإسلاميين، كلها مقولات لا يقبلها العقل البشري، ولا تخضع لأي معايير منطقية، ومن ثم سعى إلى تفنيد مقولات الإسلاميين بشكل موضوعي، وإثبات أن مقولات الإسلاميين تسعى إلى إضفاء نوع من القدسية عليها نظراً لأنها في الواقع لا تخضع لأي معايير عقلانية أو موضوعية .

- **كذلك د. فؤاد زكريا في كتابه:** (الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة) سعيا إلى الرد على مقولات الجماعة الإسلامية في مصر التي قامت باغتيال الرئيس السادات؛ حيث قام بتفنيد مقولاتها بشكل منطقي وعقلاني، وعلى رأس هذه المقولات فكرة تطبيق الشريعة؛ حيث أكد عدم إمكانية تطبيق الشريعة دون خضوعها للأهواء الشخصية واجتهادات البشر، كل على حسب قدرته العقلية في فهم النصوص. [2]

وتتمثل أولوية العقل في فكرة أن العالم الإسلامي المعاصر يواجه أموراً لم يواجهها أئمة الفقه في عصورهم، وأنه لا قاعدة محددة يمكن الرجوع إليها بشأن كثير من قضايا العصر، وهذا يفسح مجالاً واسعاً لا قيد عليه ولا حد له للاجتهاد بشأن هذه القضايا، وهو اجتهاد لا يخرج من عباءة الدين، كما أنه لا يتناقض معه بأي حال، ويحقق المصالح المرسلة للمجتمع، وهي قاعدة إسلامية صحيحة، ومن ثم يصبح الاجتهاد ليس خروجاً عن الدين؛ بل احتراماً لجوهره وروحه، وليس ابتعاداً عنه بقدر ما هو امتناع عن إقحامه دون دليل أو سند، وليس اعتراضاً على فرض منطقي؛ بل تحذيراً من نتيجة غير منطقية، وهي دعوة لاستخدام العقل وعدم قصره على النقل. [3]

ثانيا - التراث : يرى أنصار التيار العلماني أن التراث ليس فوق النقد، ولكنه يخضع للمراجعة، مثله مثل الحضارة الغربية، ومثل غيرهما من المصادر الفكرية التي يمكن الاستفادة منها لتحقيق النهضة العربية والإسلامية .

1 د .حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة :النبوة - المعاد ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1988 م ، ص 280.
2 د .فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة ، دار الفكر ، القاهرة 1986 م ، ص 10.
3 فرج فودة :حوار حول العلمانية ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، 2005 م ، ص 81-80.

حيث انتقد د . فؤاد زكريا، فكرة أن الآراء الموروثة عن الأجداد يعتقد أن لها قيمة خاصة، وأنها تفوق الآراء التي يقول بها المعاصرون، ويرتكز هذا العنصر على الاعتقاد بأن الحكمة كلها والمعرفة كلها تكمن في القدماء، ومن هنا فهو مبني بطريقة ضمنية على نظرة إلى التاريخ، تفترض أن هذا التاريخ يسير في طريق التدهور، وأن مراحله الماضية أعلى مستوى من مراحله الحاضرة .

والواقع أن الميل إلى الأخذ بسلطة القدماء يزداد في عصور الركود والانصراف عن التجديد، ومن هنا يمكن القول: إن الخضوع لسلطة القدماء ليس في ذاته هو المؤدي إلى تخلف الفكر العلمي بل هذا التخلف هو الذي يؤدي إليه. [1]

والمقصود بـ (التراث) لدى أنصار العلمانية من المفكرين المسلمين: هو كل ما هو موروث من المسلمين الأوائل، سواء في الاجتهادات الخاصة بالدولة، أو النصوص الدينية بشكل عام، دون تحديد مجال معين للاجتهاد فيها، فالواقع هو الذي يفرض المعاني على النصوص بتفسيره وتأويله لها، في حين أن النص هو المذعن للتاريخ في واقع الأمر، وليس ثمة نص خالص غير مشوب بمعان ليست منه، فللنص قارئ ومتلق وللنص تاريخ[2].

وبالتالي فالأصالة - كما يراها أنصار العلمانية ليست العودة إلى الماضي لعصر ازدهار الحضارة الإسلامية، وإنما الأصالة تعني الانتماء الأصيل إلى العصر الذي نعيشه، وأن الغزو الثقافي الحقيقي هو ذلك الغزو الذي يحول بين العرب وعالمهم المعاصر، ويدفعهم إلى العودة للوراء بما يحقق ويكرس تخلفهم. ففي حين يظل العالم الغربي ما بعد المسيحي بشقيه الرأسمالي والاشتراكي، والعالم الشرقي البوذي الوثني بشقيه الصيني والياباني يحتكران أسباب التقدم، يظل العالم العربي يعيش حالة التهميش، دون محاولة للحاق بركب العالم المتقدم. [3]

وعلى ذلك فإن العلمانية كما يرى د. فؤاد زكريا " لا يتعين من حيث المبدأ أن تكون رافضة للتراث".

إن العلمانية مهما تعمقت في التراث، تظل تضعه في إطاره التاريخي، وتربطه بظروف الزمان والمكان التي حددت معالمه، وهي لا تقع أبداً في خطأ الاستعاضة عن الحاضر مهما كان هزيلاً بالماضي، مهما كان مجيداً، ولذلك كان موقف العلمانية من التراث جامعاً بين الحفاظ عليه وتجاوزه؛ بل إنها ترى أن التراث لا يصان ولا يحفظ إلا من خلال عملية النقد والتجاوز، فمثلاً (الرياضيات) التي استوعبت - في وقت ما - كشوف جابر بن حيان، ثم تجاوزتها صانت تراث جابر على نحو أفضل بكثير مما يفعل أولئك الذين يعتقدون أن المبادئ العامة للعلم القديم

1 د .فؤاد زكريا، التفكير العلمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 2004 م ، ص 60-65 .

2 د .عزيز العظمة العلمانية من منظور مختلف ،مركز الوحدة العربية، ط1،بيروت، 1992،ص 10-11 .

3 د .صادق جلال العظم ما بعد ذهنية التحريم ، ط 2 ، دار الهدى للثقافة والنشر ، دمشق 2004 م ، ص 264-265.

ما زالت صالحة للتطبيق حتى عصرنا الحاضر، ولو نظرنا إلى الأمر بشيء من الموضوعية لتبين لنا أن اختزان التراث بعيداً عن إطاره التاريخي هو الذي يؤدي حتماً إلى هدمه، وأن تجميد الماضي إلى الحد الذي يُعد معه (صالحاً لكل زمان ومكان) هو الذي يسلب هذا الماضي كل نضارته وحيويته.

ويرى أن العلمانية شرط ضروري من شروط التعامل السليم بين الدول في المجتمعات الحديثة على حين أن العودة إلى أسس أسبق تاريخياً منها ، كالأساس الديني، تؤدي إلى الاختلال الشديد في العلاقات الدولية. [1]

المطلب الثاني: موقف بعض المفكرين من العلمانية.

سنستعرض في هذا المطلب رؤية عدد من المفكرين والفلاسفة حول العلمانية.

الفرع الأول: العلمانية عند محمد أركون :

يعتقد أركون أن " العلمنة تبقى مسألة حاضرة وملحة فيما يخص العالم العربي والإسلامي بشكل عام وذلك من أجل تشكيل الدولة بالمعنى الحديث لكلمة دولة كل القادة المسلمين يتمنون تطبيقها في مجتمعاتهم ، لذلك فهم يحاولون إدخال الأفكار الحديثة إلى مجتمعات لا تزال عتيقة البنى والهياكل في معظمها "[2]، ويشاطره الرأي برهان غليون الذي يرى بدوره أن "كل إصلاح للمجتمعات الإسلامية يمر عبر إصلاح الدولة لأنها مركز تمفصل كل السلط" غير أن أركون في مقاربته لمفهوم العلمانية ينطلق من الأسس الفلسفية التي أنتجت المفهوم في سياقها والخلفيات السياسية والتاريخية التي حددت مجاله والتعامل النقدي مع المفهوم ثم ينتقل إلى إعادة بناء وإنتاج المفهوم داخل إطار الشروط السياسية والتاريخية والفلسفية المستجدة وإذا كانت العلاقة بين السيادة العليا والسلطة السياسية تأخذ معنى ومنظور جديد في المجتمعات العلمانية يختلف عن ذلك الموجود في الأنظمة الدينية اللاهوتية، فإن أركون يقوم بتحليل هذه العلاقة في التاريخ الإسلامي لينتقل إلى ضبط مفهوم العلمانية و بيان منشتها التاريخي وأدوارها الوظيفية في العلمية المجتمعات الحديثة. ويقارب موضوع بروح نقدية من زاوية متجددة تأخذ بعين الاعتبار الواقع المجتمعي والسياق التاريخي لطرحها والإخفاق في النتائج الذي رافق طرحها منذ عصر النهضة العربية إلى يومنا هذا .

يحدد أركون مصطلح العلمنة بقوله: " حسب الاتمولوجيا (علم أصول الكلمات) فإن كلمة Laicos اليونانية تعني الشعب ككل ما عدا رجال الدين أي بعيدا عن تدخلهم في حياته في لاتينية القرن الثالث عشر نجد أن Laicus تعني الحياة المدنية

1 د .فؤاد زكريا الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، مرجع سابق، ص 74-75 .

2 محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح المركز الثقافي العربي، ط2، 1996، ص 276.

المنظمة كما كانوا يقولون في ذلك الحين"[1]، وهو تعبير عن التمييز بين أغلبية الشعب وطبقة رجال الدين (الاكليروس) وعليه فالاشتقاق اللغوي يحيل إلى التمييز بين المجال الروحي المقدس والمجال الدنيوي الزمني.

غير أن أركون في تصوره للعلمنة يرى أنها تتجاوز مجرد التفريق بين الشؤون الروحية والشؤون الزمنية على الرغم من اعترافه بأهمية مثل هذا التفريق - لأن في اعتقاده " تفريقا كهذا موجود عمليا في كل المجتمعات حتى عند ما ينكر وجوده ويحجب بواسطة المفردات الدينية "[2]، ولا يقبل الادعاء الشائع بأن الاسلام يختلف عن المسيحية في كونه دين ودولة أو بتعبير أعم دين ودنيا حيث يقول : " فالأطروحة التي تضاد بين الإسلام والمسيحية وتقول إن المسيحية قد فصلت بين الذروتين الدينية والدنيوية في حين أن الإسلام خلط بينهما منذ البداية هي أطروحة متسرعة وسطحية وغير مقبولة، والسبب هو أنها لا تأخذ بعين الاعتبار الشروط التاريخية لكلا الدينين"[3]، فالحالة السياسية والدينية للجزيرة العربية في مطلع القرن السابع الميلادي، تبين اختلافات أساسية إذا ما قارنها بحالة فلسطين في زمن يسوع المسيح كما أن الدولة " في الإسلام والمسيحية ظاهرة دنيوية قبل أن تكون دينية، إنما استعانت برجال الدين لتأصيل مشروعيتها"[4].

كما يرفض أركون من جهة أخرى ما يدعوها بالعلمانوية أو العلمانية النضالية أو الإيديولوجية، ويميز بينها وبين العلمانية حيث يرى أن الأولى متطرفة سلبية والثانية معتدلة إيجابية، ويقول : " أنا انتقدت نوعا من أنواع التطبيق للعلمانية ، ولم أنتقد العلمنة ككل "[5]، ويبرز نقده لهذا النوع من العلمنة في كونها تطرفت وأصبحت عقيدة إيديولوجية، تضبط الأمور وتحد من حرية التفكير، حيث يقول: " يجب أن نحتاط جيدا العلمنة لا ينبغي لها هي الأخرى أن تصبح عقيدة أيديولوجية تضبط الأمور وتحد من حرية التفكير كما فعلت الأديان سابقا والعلمانية النضالية Le Laicisme المعادية للكيتوت في الغرب".

بعد استبعاده للموقف الذي يختزل العلمنة في التفريق بين الجانب الروحي والجانب الزمني، والموقف الذي يرى في العلمنة مجرد استبعاد للمجال الديني، يعرض أركون تاريخية مفهوم العلمنة وفق مقاربة أنثروبولوجي، حيث يرى أن الإنسان من الناحية الأنثروبولوجية له حاجات ودوافع نتجه في اتجاهين أساسيين مترابطين:

1 محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 291.

2 محمد أركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي ،ط2 ، 1996 ص 180 .

3 محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر ،1993، ص 54-55.

4 محمد أركون، تعقيب على بحث أنطوان فرغوث، الدين والعلمنة في أوروبا، الدار التونسية للنشر، تونس،1985 ، ص 218

5 محمد أركون، الإسلام أوروبا الغرب، رهانات المعنى وارادات الهيمنة، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي بيروت، لبنان، ط2 ،2001 ، ص 206 .

- أولا مرتبة الرغبة Linstance Du Desir مع كل القوى الملحقة بها، هذه الرغبة تتأرجح ما بين الرغبة في الله، وصولا إلى الرغبة البسيطة المتمثلة في الإنجاب أو الغنى أو الهيمنة.
- أما المرتبة الثانية أو البعد الثاني الذي يمتاز به الإنسان - أي إنسان فهو إلحاح الفهم والتعقل Xigence De Fintelligibilite، حدث تاريخيا أن إلحاح الفهم هذا كان تعرض للمقاومة، وحرف عن دربه الصحيح إلى حد أن الإنسان اضطر للنضال والكفاح من أجل اكتساب حقه العميق في المعرفة والقيم، ضمن هذا الخط النضالي من أجل القيم والتعقل (تعقل الأشياء ومعرفتها)، يندرج تاريخ العلمنة بالضبط. [1]

ما يفهم من هذا الطرح هو أن أركون يرى أن العلمنة تتعلق أساسا بإرادة المعرفة والفهم ، وهي نضال من أجل تحرير هذه الإرادة من كل عائق أو ضابط لها، " فالعلمنة ينبغي تؤخذ كمصدر للحرية الفكرية وكفضاء تنتشر فيه هذه الحرية"[2] لأن العلمانية والحرية مقومان مترادفان في اعتقاده، ويؤكد أركون على هذا المعنى في قوله : " فالعلمنة التي أفهمها تتركز في مجابهة السلطة الدينية التي تخلق حرية التفكير في الإنسان ووسائل تحقيق هذه الحرية ((إن العلمنة تتركز فقط في الإلحاح على حاجة الفهم والنقد داخل . توتر عام في الإنسان بمواجهة ((ضابط)) ما موجود دائما وضروري أن يوجد سواء كنا نعيش في مجتمع الدولة - الكنسية أم في مجتمع الدولة القومية الحديثة" [3]، ومنه فقناعة أركون هي أن العلمنة " أولا وقبل كل شيء ، إحدى مكتسبات وفتوحات الروح البشرية "، وهي تواجه مسؤوليتين أو تحديين اثنين:[4]

1. كيف تعرف الواقع بشكل مطابق وصحيح.
2. أما المسؤولية الثانية أن تجد صيغة أو وسيلة ملائمة لتوصيلها إلى الآخر دون أن نشرط حريته أو نقيدها .

انطلاقا من هذا الفهم للعلمنة يعتقد أركون أنه من الضروري بل من الواجب علينا أن تعيد تعريف العلمانية، فيقول: " أنا شخصيا علماني وأناضل في الأوساط الإسلامية تماما، كما أناضل هنا في فرنسا من أجل علمانية منفتحة "[5]، فمشكلة العلمنة تظل مفتوحة للجميع، والمجتمعات الإسلامية في حاجة ملحة للتنظير للعلمانية لتحويليا من " مفهوم يعبر عن روح تجربة تاريخية معينة، إلى مفهوم قابل

1 محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق ، ص 293.
2 محمد أركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية، مرجع سابق ، ص 34.
3 محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص 294
4 محمد أركون، العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب، دار الساقي بيروت،، ط3 ، لبنان، 1996 ، ص 10.
5 رون هالبير، العقل الاسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب (الجهود الفلسفية لمحمد أركون)، ترجمة جمال شحيد، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق ، سورية ، 2001 ، ص 33

للاستثمار الرمزي في أفق فكري أشمل وأعم "[1]، فهناك حاجة داخل المحيط العربي والاسلامي إلى بناء نظرية للعلمنة من شأنها أن توفر الشروط والإطار الذي يمكنها من حل العديد من المشاكل التي تعانيا، " فوحده الموقف العلماني في اعتقاد أركون، بشرط أن تفهمه جيداء قادر على تحريك الأمور وطرح الإشكاليات"[2]، الخاصة بالغموض الذي يكتنف العلاقات بين المجالات الدينية والسياسية والعلمية في المجتمع " وعقلنة العلمنة الممارسة واقعيا في المجتمعات الإسلامية ولكن غير المنظر لها "[3]، من أجل تحرير العقل من كل أشكال الوعي الخاطئ.

فأركون يدعو إلى علمانية منفتحة ذات وجه إسلامي مستنير ليست مناقضة للدين وإنما مناقضة لأن يحول الدين إلى نظام أيديولوجي هدفه الوصول إلى السلطة أو تحقيق المزيد من السلطة[4]، وفي هذا الصدد يقول: " أقول بأن العلمنة التي أدعو إليها العالم الإسلامي ليست مضادة للدين، وإنما هي فقط مضاد لاستخدام الدين الأغراض سلطوية أو انتهازية أو منفعية ينبغي تنقية الدين الإسلامي من كل الشوائب التي علقت به على مر القرون "[5]، فالعلمنة التي يدافع عنها ويحاول التنظير لها تتركز في مجابهة السلطة الدينية وكل سلطة أخرى، تخلق حرية التفكير في الإنسان ووسائل تحقيق هذه الحرية وينفي أركون أن يكون الإسلام مغلقا في وجه العلمنة كما يروج البعض، ولكي يتوصل المسلمون أبواب العلمنة فإن عليهم أن يتخلصوا من الإكراهات والقيود النفسية واللغوية والإيديولوجية التي تضغط عليهم وتثقل كاهلهم[6]، فمستقبل العلمنة في الإسلام يعتمد أساسا على الانتشار الواسع للحداثة العقلية أو الفكرية ولا يمكن لها أن تنتشر ضمن فراغ ثقافي كالذي تعيشه المجتمعات العربية والإسلامية بكل إمكانياتها الايجابية.[7]

الفرع الثاني: العلمانية عند محمد عابد الجابري :

حول العلمانية يقول الجابري: " وإننا بإزاء تحليل لغوي لتحميل هذا اللفظ معنى لا مرجعية له في المجال التداولي العربي، هو المعنى الذي تفيده كلمة لائكية Laicite باللغة الفرنسية، وكلمة العلمانية Secularization باللغة الإنكليزية، ولان لفظ العلمانية لا أصل له ولا فصل في مجالنا التداولي (العربي الإسلامي)، فأنني أفضل الحديث عن اللائكية التي هي في معناها المعجمي، ذلك النظام الذي يبعد

1 كمال عبد اللطيف، مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1، بيروت، 1992 ، ص 44
2 محمد أركون، العلمنة و الدين الإسلام المسيحية الغرب ،مرجع سابق ، ص 40.
3 محمد أركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية ، مرجع سابق ، ص 182.
4 محمد أركون، قضايا في نقد العقل الديني ، مرجع سابق ، ص 226.
5 محمد أركون، الإسلام أوروبا الغرب رهانات المعنى وارادات الهيمنة ، مرجع سابق ، ص 203 .
6 محمد أركون، العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب ، مرجع سابق ، ص 59 .
7 محمد أركون الفكر الاسلامي قراءة علمية ،مرجع سابق ، ص 181.

الكنيسة من ممارسة السلطة السياسية أو الإدارية، وبالخصوص من تنظيم التعليم "[1]، على انه في مقابل مفهوم اللائكية ذي الخصوصية الفرنسية، يختار الكلام على السيكولارية التي طبعت التجربة الألمانية والانكلوسكسونية، ومع أن هذا المفهوم لا يختلف في معناه عن اللائكية، فأنه برأيه - الجابري - أكثر مرونة واقل حدة منه ازاء الديني، ولذا فإذا كانت اللائكية تنص على اقصاء اي سلطة للكنيسة في المجال السياسي او الاجتماعي او التعليمي، فأنه السكولارية تعني ابتداء ضعف الروح الدينية في المجتمع[2]، فالنموذج التجديدي في التيار السياسي العربي الحديث والمعاصر ذو الميول الايدولوجية الليبرالية من جهة، و الاشتراكية واليسارية من جهة أخرى، كانوا يجنحون الى تعريف العلمانية بأنها فصل الدين عن الدولة، أو بأنها حيادية الدولة تجاه العقائد، أو الذين ينسبونها الى ما يعرف بالروح العلمية والنزوع العقلي، في النظر الى العالم وفي تشخيص الأمور، غالبا ما يستنبطون في داخلهم عن وعي او عن غير وعي، رؤية تبجلية وتبشيرية بالعلمانية وفضائلها ومزاياها، وانها الاكتشاف العقلي الاهم او احد الفتوحات المعرفية المظفرة[3]، وهم يعتقدون ان العلمانية كلمة اطلقت في الأصل على من لا ينتمي الى طبقة الاكليروس (رجال الدين المسيحي)، واريد بها من ينتمي إلى عالم اخر غير عالم رجال الدين والدائرة الدينية، ولكن من ناحية اخرى ما من شك في انها كمفهوم انتصرت للعلم والعلماء، كما مثل لها التقدم العلمي بدوره سنداً قوياً في اثناء طريقها او صيرورتها نحو التبلور، باعتبارها مفهوماً يقصد به الفصل الدنيوي عن الاخروي، والسياسي الزمني عن الديني الكنيسي، ومن ثم ارتباطها بالعلم في مواجهة الاضطهاد الكنيسي للعلماء، واعتمادها على العقل الانساني بحسابه المعيار والمقياس في كل الامور المتصلة بحياة الانسان، فقد كان للاكتشافات العلمية والفتوحات المعرفية الى جانب عوامل أخرى، دور كبير في بلورة مفهوم العلمانية، الذي تبدو تياراً ذهنياً يقوم على حل المشاكل الفكرية والاجتماعية، من خلال الاعتماد على العلوم، ذلك انها تنطلق من ايمانها بأن للعلم قدرة فائقة على تقديم تفسير علمي للأشياء، ويؤكد رواد هذا التيار المناصر والمؤيد للعلمانية انها تبقى بفتح العين عند الاستخدام لان الاصل فيها انها كانت تستخدم في بداية ظهورها للإشارة الى من ينتمي الى هذا العالم في حين ان ارتباطها بالعلم، انتصاراً ودعماً ومساندة، جاء في مرحلة لاحقة حينما اشتد التنازع بين الكنيسة والعلماء، والذي اشتعل أواره وبلغ مداه مع ظهور محاكم التفتيش، وصكوك الغفران، وغير ذلك من مظاهر شطط رجال الكنيسة وفسادهم[4].

1 محمد عابد الجابري، في نقد الحاجة إلى الإصلاح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1،2005، ص 80.
2 محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز الدراسات الوحدة العربية،بيروت، ط 1 ،1996، ص 114.
3 محمد عابد الجابري، اشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت،1988، ص 16.
4 محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 18-30.

إن اشكالية العلمانية التي هي واحدة من الاشكاليات الأكثر جدلاً وتداولاً في الفكر السياسي العربي الاسلامي المعاصر، قد تخللها سوء فهم جلي لدى الإسلاميين والعلمانيين على حد سواء، يظهر في الكيفية التي يعي بها كل من الطرفين للعلمانية: فالعلمانيين قد انزلقوا الى الصراع بمواقف عقدية تاريخية لا فكاك منها، دونما تنبه منهم إلى إنهم بهذا يكرسون فكرة الاسلاميين عن العلمانية، ويوفرون مادة دسمة يتكئون عليها في التشنيع على العلمانية وأشياعها، ومتوهمين ان بالإمكان استبعاد الاسلام من دائرة التأثير الاجتماعي والسياسي في عالمنا العربي والإسلامي.

أما الفريق الثاني وهم الاسلاميون فهم يسارعون الى القطع بأنها الدسيسة الكبرى التي اقتصمت على المسلمين عقولهم وقلوبهم وديارهم، ولا يرون فيها سوى نزعة الحادية همها اقصاء الدين من التنظيم الاجتماعي والسياسي ليحل محله نظام سياسي ملحد، معاد للعقيدة الاسلامية وللأمة وغير ذي صلة بمصادرها الروحية والثقافية غير ان من المفكرين العرب من لا يوافق ابتداء على طرح اشكالية العلمانية أو فصل الدين عن الدولة في السياق العربي الإسلامي، ومن ابرز هؤلاء محمد عابد الجابري الذي دأب منذ الثمانينات على المناداة بضرورة استبعاد شعار العلمانية من قاموس الفكر العربي بسبب انه ينطوي على شحنة غير يسيرة من الاثارة والاستفزاز واستبداله بالديمقراطية و العقلانية ؛ اللتين لا تعنيان بأي شكل من الاشكال استبعاد الدين و لا معاداته، لكن كلام الجابري هذا قد لقي نقداً حاداً من قبل العديد من الباحثين[1].

خلاصة الفصل:

من خلال ما سبق الإشارة إليه في هذا الفصل يمكن القول أن:

1 أ .م .د زياد جهاد حمد، الفكر السياسي عند المفكر عابد الجابري، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية، الجامعة العراقية، العدد 4، ص 174- 175.

- تحريف النصرانية في الحقيقة هو السبب الممهد للعلمانية، سواء عن طريق الطغيان الكنسي أو أسباب مباشرة أخرى لها.
- العلمانية تعني المادية والدنيوية واللادينية، سواء قرأناها بفتح العين (العلمانية) أو بكسر العين (العلمانية)، لأن هذا المصطلح يتذبذب بين المقصود الديني، والمعنى السياسي، كما ينشطر بين التعاريف النظرية، وواقع التطبيق.
- أن هناك خلفيات وبواعث أسهمت في تكوين وإيجاد النزعة المادية واللادينية في الفكر العلماني، والتي لازالت نقطة خلاف بين الفكرين الإلهي والمادي.
- أعتبر المفكرين العرب أن العلمانية لم تكن دقيقة في تشخيصها، لأنها وليدة المشكلات والتعقيدات التي عانت منها أوروبا حادة.

الفصل الثاني: العلمانية في الإسلام والوطن العربي عند جورج طرابيشي

تمهيد :

من ابرز القضايا الإشكالية المطروحة في الإسلام و الوطن العربي، ما تعلق بالعلمنة وهو موضوع يسلط عليه الضوء في مراكز البحوث العالمية، و من أكثر المواضيع طرحا في عالم الفكر العربي المعاصر، ويعتبر طرح "جورج طرابيشي" من الاطاريح المميزة في المسالة، إذ نادى بضرورة انتهاج سبيل العلمنة بكل مستوياتها، لأنها الضامن الوحيد لتحقيق الإقلاع الحضاري، وهذا لا يتأتى إلا من خلال فصل الدين عن السياسة و فصل السلطة عن المجتمع المدني، بكل هذا نستطيع إخراج الأمة العربية والإسلامية من مأزق التعصب و التخلف الذي يسيطر على الحياة الفكرية و السياسية العربية.

ويعتبر جورج طرابيشي (1939م - 16 مارس 2016م)، مفكر وكاتب وناقد ومترجم عربي سوري، تخصص في نقد الأدب وشرب من ينابيع الفلسفة الوجودية والتحليل النفسي، وترجم عشرات المؤلفات، ثم خصص ربع قرن من حياته لنقد المشروع الفكري لمحمد عابد الجابري موجها له انتقادات لاذعة،[1] له مؤلّفات مهمّة في الماركسية، والنظرية القومية، والنقد الأدبي للرواية والقصّة العربية، إضافة إلى 'معجم الفلاسفة'، ومشروعه الموسوعي الضخم الذي عمل عليه أكثر من 15 عاماً وصدرت منه خمسة مجلّدات في "نقد نقد العقل العربي". من إصداراته عن دار الساقي: 'من إسلام القرآن إلى إسلام الحديث'، 'المعجزة أو سبات العقل في الإسلام'، 'هرطقات 1 و2'، 'مصائر الفلسفة بين المسيحية والإسلام'.[2]

سيكون هذا الفصل ركيزة لموضوع بحثنا ككل، حيث بعد التعريف بجورج وإنجازاته الفكرية، سنسلط الضوء ما قدمه للعلمانية في الوطن العربي للسير به في طريق الحداثة، وللإلمام أكثر بالموضوع ارتأينا لتقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بذور العلمانية في الإسلام وبعض مظاهر الحداثة

المبحث الثاني: العلمانية في الوطن العربي وشروط نجاحها

المبحث الثالث: رد جورج طرابيشي على الجابري وحسن حنفي

1 جورج طرابيشي.. ربع قرن في نقد الجابري". www.aljazeera.net. مؤرشف من الأصل في 2022-11-12.

2 https://www.daralsaqi.com/books/author/6, 02/05/2024, 10:00.

المبحث الأول: بذور العلمانية في الإسلام وبعض مظاهر الحداثة

ارتبطت العلمانية الغربية في نشأتها، بظروف تاريخية ودينية واجتماعية، أدت لبروزها كحل للمشاكل التي أثقلت كاهل الغرب النصراني .

غير أن الواقع في الشرق الإسلامي مختلف تماما عن الواقع في الغرب النصراني، وهناك أسباب أدت إلى ظهور العلمانية في الشرق الإسلامي، برغم وجود تناقض فكري وواقع تاريخي لا يؤيدان استيراد التجربة الغربية في تطبيق العلمانية إلى عالمنا الإسلامي.

المطلب الأول: بذور العلمانية في الإسلام.

إن الحديث عن العلمانية في الإسلام، ولو بصيغة مخففة فيه من الصعوبة بل في منتهى الجرأة اليوم، فهذه الكلمة قد أصبحت بألف ولام التعريف، هي الكلمة المنبوذة في الخطاب العربي المعاصر، فما تم تحميله عليها من انتهاك جعلها ترادف الكفر الصريح والإلحاد الواجب على معتنقه عقوبة القتل، أفلم يجب الإسلامي المتشدد الذي قتل فرج فودة، عندما وجّه إليه القاضي السؤال: " لم قتلته ؟ "، بقوله: " لأنه علماني " ؟ والأكثر من ذلك، ألم يجب عندما سأله القاضي: " وما معنى علماني ؟ "، بقوله: " لا أعرف "، والدكتور يوسف القرضاوي نفسه، أحد أكبر فقهاء الإسلام اليوم، ألم يجب عندما سئل في أحدى حلقات برنامج "الشريعة والحياة "[1]، عن رأيه في العلمانيين من المسلمين المعاصرين، بأن أبدى استغرابه من أن "حد الردة" لم يطبق عليهم حتى الآن ؟.

ومن قبله الم يكن مثل بارز للعقلانية النقدية هو الدكتور محمد عابد الجابري، قد طالب بسحب الكلمة - العلمانية - من قاموس الفكر العربي المعاصر[2] فحمولتها من انتهاك المقدس جعلها ترادف الكفر الصريح والإلحاد الواجب لمعتنقه عقوبة القتل.

وفي سياق آخر غير هذا السياق التكفيري، ولكن بدون أن يكون أقل أذية، هو سياق المفاضلة الصريحة أو الضمنية بين الديانات، ما وجدنا مستشرقين ومختصين في الدراسات الإسلامية، ويسايرهم في ذلك محترفون محليون للمدافعة عن الإسلام، يؤكدون بوثوقية لا تحتمل الشك أن الإسلام لم يعرف الفصل بين الدين والسياسة، على نحو ما عرفته المسيحية من خلال التمييز الإنجيلي المشهور بين الله وقيصركما، من خلال توزع السلطتين الروحية والزمنية بين الباباوات والقياصرة أو الأباطرة، في عهود الإمبراطوريات المقدسة (الرومانية والبيزنطية والجرمانية)، ثم بين الباباوات والملوك مع انبلاج فجر الحداثة ونشوء الدولة القومية الحديثة، وقد

1 جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، دار الساقي بالاشتراك مع رابطة العقلانيين العرب، بيروت، لبنان، 2006، ص19.

2 المرجع نفسه، ص20.

ظل تصور أن السلطة الدينية والسلطة السياسية على اتصال ببعضهما في الوعي السائد حينها في العالم العربي والإسلامي، حتى لم يعد احد يماري في صحة المقولة السائدة التي أطلقها حسن البنا منذ ثلاثينات القرن الماضي، القائلة أن الإسلام هو بالتعريف " دين ودولة "[1]، مع أن كلمة دولة لم ترد في النص القرآني، ولا الأحاديث النبوية سواء الصحيحة أو الموضوعة منها.

ومن هنا ينفرد طرابيشي في مفهومه للعلمانية كعربي، و بتأصيله لها في جذورها وما يحمله من إيديولوجية تجاهها، جعلته ذو فكر جريء عن غيره من العرب بتعصبهم حيالها، ورفضها قطعيا في حين انه هو كان سابق مفكريه وأخذها بأيديولوجية متفتحة، على حساب ما ظهرت عليه العلمانية أول مرة، وما قابلها من رفض كلي وصل حد التكفير، في حين طرابيشي أخذها من جانب جريء ،وتفسير جريء ،جعله يأخذ هذه الأيديولوجية المعاكسة لنظام ثيوقراطي لا يعترف بها دينيا، ولا سياسيا، وقد لمح جورج إلى وجود بذور للعمانية في الإسلام، سابقة لم تكن بالمعنى التي عليه الآن، لكنها كانت موجودة، وقد ذكر طرابيشي في كتابه "هرطقات" بعض المواقف التي كانت تحمل في داخلها بذورا علمانية، نذكر منها حديث تأبير النخل المشهور، فقد كان الرسول ﷺ، مار بحي من أحياء المدينة، فسمع أزيز فاستغرب، فقال: «ما هذا؟ »، فقالوا: «النخل يؤبرونه»، أي يلقّحونه، فقال - وهو الذي لم تكن له خبرة بالزراعة - «ولو لم يفعلوا لصلح»[2]، فأمسكوا عن التلقيح، فجاء النخل شيصاً - أي لم يثمر-، فلما ارتدوا عليه يسألونه، قال قولته المشهورة: «أنتم أعلم بأمور دنياكم»، وقد روي هذا الحديث - وكان من جملة رواته عائشة وأنس بن مالك - بصيغ أخرى، منها «إذا كان شيئاً من أمر دنياكم فشأنكم، وإن كان من دينكم فإليّ»؛ وكذلك: «أنتم أعلم بما يصلحكم في دنياكم، وأما آخرتكم فإليّ»، إذن فالإسلام لا يختلف اختلافاً جلا عن المسيحية في التمييز بين الدنيا والآخرة، وهذا التمييز يتضح لنا من خلال القران وحديث الرسول على انه بشر يخطئ ويصيب، وأن يكن قد كلف بتبليغ رسالة الإلهية فهو في سلوكه الدنيوي قد يخطئ كسائر البشر[3].

والقصة المسيحية كذلك"أعطوا ما لله لله وما لقيصر لقيصر لقيصر"، هي بداية مقولة منسوبة ليسوع ذكرت في - إنجيل مرقس -، ونصها «أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لِلّهِ لِلّهِ»، النص جاء في سياق سؤال بعض اليهود للمسيح عن جواز دفع الجزية لقيصر، وقد استدل بها كثير من النصارى عن علاقة دينهم بالدولة العلمانية[4].

1 جورج طرابيشي، هرطقا ت عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، مرجع سابق، ص 20.

2 المرجع نفسه.

3 المرجع نفسه، ص21

4 جورج طرابيشي، العلمانية وبذورها في الإسلام، محاضرة أيار التذكارية 2005، الجامعة الأمريكية في بيروت، كلية الآداب والعلوم، برنامج أنيس المقدسي للآداب، ص21

ومن هنا يرى طرابيشي انه لم يكن من فارق بن الإسلام والمسيحية، في تجليات العلمانية سابقا، إنما يكمن الفرق في التجربة التاريخية لكل منهما، فالمسيحية بقية محض ديانة روحية، ولم تأسس نفسها كدولة طيلة الثلاث القرون الأولى من تاريخها، ولم تأسس نفسها في دولة إلا بعد تنصر الإمبراطور الروماني قسطنطين، وألقى ابتداء من عام325م، سيرورة تنصير الدولة التي ستكمل مع إصدار الإمبراطور ثيودوسيوس الأول سنة 380م، مرسوم يعتبر المسيحية ديانة رسمية.[1]

في حين الإسلام لم تطل مرحلته الدينية كالمسيحية بل ظل ثلاث عشرة سنة وهي فترة مكوث الرسول في مكة قبل أن يهاجر للمدينة، ويرسي فيها على مدى الأعوام العشرة المتبقية من عمره الأسس الأولى لأول دولة في الإسلام.[2]

وهذا ما جعل جورج يؤكد على وجود بذور لمسار علماني في الإسلام لم تشهده المسيحية طيلة مسارها التاريخي، وباعتبار دمج الإسلام للدين والسياسة في وقت مبكر.

ففي الوقت الذي كانت فيه العلمانية في أول ظهور لها قابلها الكل بالرفض والكفر بتعريفهم لها أنها تعني " فصل الدين عن الدولة أو السياسة "، في حين أن طرابيشي تميز برؤيته الخاصة لها في فصل الديني عن السياسي فيها والإسلام حسبه ذلك المعنى هو الذي يريد أن يثبت من خلاله أن تصرفات المسلمين في الحكم تمليها الغريزة والرغبات الفردية للأشخاص، فمن المواقف التي سبقت فيها السياسة الدين نجد:

موقف زوجات النبي وهو في فراش الموت، لما أرادت كل وحدة منهن توريث أباها الخلافة فردهن: " كن صواحب يوسف "[3].

الموقف الثاني يقدمه كبار الصحابة، وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، عندما اجتمعوا الخميس السابق بأربعة أيام لوفاته التي كانت في يوم الثاني عشر من ربيع الأول، فدب فيهم التنازع وهم عند وسادته، وليس عسيرا نحدس أن وضع خلافهم هو خلافته[4].

يروي ابن سعد في طبقاته عن ابن عباس انه قال: (يوم الخميس وما يوم الخميس قال اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال ائتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا، قال فقال بعض من كان عنده إن النبي ليهجر)[5] .

نلاحظ أن وراء هذه المواقف ملامح أحاطت بقيام مؤسسة الخلافة في الإسلام، والتي حكمت عليها من ساعة الولادة بأن تؤول إلى مقتلة كبرى، تتابعت فصولها من

1 جورج طرابيشي، العلمانية وبذورها في الإسلام، مرجع سابق، ص5.
2 جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، مرجع سابق، ص 22.
3 المرجع نفسه، ص 21.
4 المرجع نفسه، ص 23
5 جورج طرابيشي، العلمانية وبذورها في الإسلام، مرجع سابق، ص7.

الخلافة الراشدة إلى الأموية إلى الخلافة العباسية ،إلى الخلافة الفاطمية، وكان مبدئها الأول هو اليوم الذي توفى فيه الرسول نفسه.[1]

وحتى في ذلك اليوم وقبل أن يدفن، بل حتى قبل أن يغسل ويكفن، تداعى قادة الأنصار من الأوس والخزرج وهذا كان المشهد الثالث.[2]

ومن الواضح أن الصراع القائم في المواقف السابقة هو الصراع حول الخلافة، ولمن ستكون وكيف تسير، وكل طرف يريد أن تكون الخلافة له ومنه.

فبالرغم من وفاة الرسول الذي كان من المفروض أن يكون الوحيد الذي يشغل تفكيرهم في تلك الساعات، إلا أنه انصرف تفكير الكل في من سيخلف.

وقد انتهى الصراع بصراع آخر فقد انحصرت الخلافة بين ثلاثة لا رابع لهما، وهم أبي بكر وعمر من جهة المهاجرين، وسعد بن عبادة من جهة الأنصار، وكان هذا الصراع نموذج لصراع سياسي يقوم على المواجهة والمناورة، يعتمد لغة العنف لا يقيد نفسه بأي اعتبارات دينية، ولا يحترم حرمة ما كان مقدسا، وهذا يعني إعطاء الأولوية للسياسة على الدين عند رجال السياسة وعلى التوظيف السياسي للدين في إسلام الصدر الأول. [3]

إذن قد عرف إسلام الصدر الأول علاقة متوترة إلى حد الفصام بين الدين والسياسة، فعلى الرغم من قرب عهد الرسالة النبوية وقدسية الأماكن وحرمة الأشخاص في قرابة رسول الله وصحابته، فقد سفكت دماء باسم المدنس على المقدس ليصل الصراع للسياسة لا على الدين.

ومن هنا نصل إلى أنه كان منذ الإسلام الأول وجود تغليب السياسي على حساب الديني، ولم يكفروا ويخرجوهم عن الملة بل اعتبروا تمييز للأخرويات على الدنيويات أي الديني على السياسي .

إذا فبذور العلمانية موجودة في الإسلام وتاريخ الإسلام، لكن ليس بالمفهوم التي عليه علمانية اليوم أو نتيجة تطور من وقت ظهورها إلى الآن، بل إن الثورة المعرفية التي لم تجترح بعد بسبب غياب مشروع حقيقي وفعال للحداثة في الإسلام المعاصر هي التي يمكن أن تستحث الوعي على اكتشاف بذور للعلمانية في الإسلام وممارسة المسلمين لها.

وخلاصة القول ليست علمانية اليوم هي تطور لما سبق، بل هي وليدة القطيعة المعرفية لزمن الحداثة، وهي التي جعلت منها ما عليه اليوم، لا دخل لبذورها في الإسلام فيه وما جاء به جورج هو عبارة عن رد لمن وصفها بالكفر وأكد على أن لها ظهور وتجليات في الإسلام الأول ولم تكفر.

---

1 جورج طرابيشي، العلمانية وبذورها في الإسلام، مرجع سابق، ص7.

2 نفس المرجع.

3 نفس المرجع.

المطلب الثاني: مظاهر الحداثة عند جورج طرابيشي

لا يخفى علينا اتفاق كل من دعاة الحداثة و القدامة من رافضي العلمانية على أنها اشكالية مستوردة من الغرب المسيحي، إلا انه يجب علينا حتمية تبني العلمانية كأساس للنهضة العربية الحديثة حسبه، حيث يطابق طرابيشي بينها وبين الحداثة مبينا تأثره بالكاتب "مارسيل غوشيه" الذي يعتبر أن العلاقة بين الحداثة والعلمنة في علاقة ترادف يعني به "الخروج من الدين"[1]، ذلك أن القارة الجيوثقافية الأوروبية الغربية كانت مسكونة سطحا وعمقا بالدين، وما كان لها أن تشق طريقها إلى التحديث إلا بالقطيعة مع النظام المعرفي الديني للقرون الوسطى[2]، وهذه القطيعة هي التي يمكن أن نطلق عليها اسم العلمنة، حسب تعريف مرسيل غوشيه على أنها جهاد في سبيل الدنيا كخيار بديل عن الجهاد في سبيل الآخرة[3].

وهذه الجهادية حسبه أحدثت مسار انعطف بها مئة وثمانين درجة أدت بتمظهر شكل العلمنة إلى مستويات عدة :[4]

أولا- العلمنة الدينية: بالثورة الإصلاحية التي أجراها مارتن لوثر على احتكار الكنيسة الكاثوليكية في ما يخص الإيمان الديني،ليردها مسألة شخصية تعتمد على حرية الأشخاص، والإصلاح البروتستانتي كذلك أحدث ثورة أتاحت قراءة النصوص المقدسة للأشخاص العاديين بعد أن كانت حكر على رجال الدين.

ثانيا- العلمنة اللغوية: فتلك الحساسية الأدبية الجديدة ترجمت أيضا نفسها بالتمرد على لغة المقدس التي كانت باللغة اللاتينية، وبتكريس اللغات العامية الدنيوية ورفعها إلى مستوى لغات قومية، تكرس بدورها القطيعة على مستوى الشعوب والدول،مع وحدة الكنيسة المسكونة وإمبراطورتيها المقدسة.

ثالثا- العلمنة الإنسانية: يعني به الانسانيات أي دراسة الآداب الرومانية القديمة، باعتبارها إرث وثقافة لابد منها والاستفادة منها حتى وإن كان وثنيا،فقد يستفاد من ما عاشه قبله.

رابعا- العلمنة السياسية: تعني الإيديولوجيات والسياسات التي نمارسها للتفصيل الديني عن الدولة وإبقاء الدولة خارج الشؤون الدينية للأفراد.

خامسا- العلمانية القانونية: تتمثل في ظهور حقوق الإنسان والمواطن في نهاية القرن الثامن عشر ميلادي، عن الجمعية التأسيسية للثورة الفرنسية، لتتحول المركزية من الله إلى الإنسان .

1 جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، مرجع سابق، ص98.
2 المرجع نفسه، ص 99.
3 نفس المرجع.
4 المرجع نفسه، ص 100-102.

المبحث الثاني: العلمانية في الوطن العربي وشروط نجاحها

كانت العلمانية حجر الأساس، الذي تطورت عليه المجتمعات الأوروبية مطلع القرن العشرين، إلا أن المد الإسلامي، الذي يعيشه العالم العربي منذ عدة عقود، يجعل نجاح تطبيق مبادئ العلمانية في المجتمعات العربية أمرا صعبا في الوقت الحالي ويحتاج لشروط محددة.

المطلب الأول: العلمانية في الوطن العربي

يرى طرابيشي أن العلمانية قد عرفت أشكالا متفاوتة في الوطن العربي، وأن كل دولة أخذت علمانيتها هي بصورة جذرية ونهائية، على اعتبار تطور كل دولة عن الأخرى، والمقياس الذي نحكم به تطور الدولة من تخلفها هو درجة تعلمنها، فباستثناء الدول الخليجية التي أنجزت قدرا من التحديث المادي بفضل عامل براني لا يقاس عليه هو المن" النفطي "، فلنا أن نلاحظ أن البلدان العربية الأقل تخلفا هي بصفة عامة الأكثر نفورا من العلمانية، والدول المتطورة هي الأكثر اعتمادا على العلمانية من غيرها.

إلا أن طرابيشي يرى أن لا وجود لأي دولة علمانية في الوطن العربي بالمعنى الناجز للكلمة، فجميع الدول العربية تنص في دساتيرها إما على أن الإسلام هو دين الدولة، أو الإسلام هو دين رئيس الدولة، أو هو المصدر الرئيسي للتشريع، ففي مصر تجد في دستورها أن الإسلام هو دين الدولة وأن مبادئ التشريع الرئيسية مصدرها الشريعة الإسلامية، وفي الجزائر بحكم موروثها القانوني الفرنسي والتي تعتبر هذه الأخيرة الدولة السابقة في التعلمن، إلا أنه ينص ب" الإسلام هو دين الدولة "، وفي تونس التي يبدو في ظاهرها أبكر الدول في العلمنة النسبية لقانون الأحوال الشخصية، إلا أنه يوجد في دستورها كذلك " الإسلام دينها "، والمغرب كذلك تجهر في دستورها بعدم علمانيتها، من خلال إعلانه أن المملكة المغربية دولة إسلامية، والإسلام دين الدولة والملك أمير المؤمنين، وشخص الملك قدس لا تنتهك حرمته، وليبيا كذلك تعتمد القران الكريم هو شريعة المجتمع في الجماهيرية الليبية، وموريتانيا تنفرد بديانتها من خلال اسمها، وتطلق على نفسها الجمهورية الإسلامية الموريتانية، والدول العربية المتشبثة بالدين كثيرة كلبنان والسودان وفلسطين والعراق واليمن،[1]

وبالتالي ما نصل إليه أنه لم تكن الدول العربية علمانية، باعتبار تزايد درجة التعلمن فيها، إلا انه يطغى عليها الجانب الديني مهما تطورت تبقى مكبلة برباط ديني، يحول بينها وبين العلمانية الحقة.

1 جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، مرجع سابق، ص 106 -107.

المطلب الثاني: شروط نجاح العلمانية في الوطن العربي

لا يقاس نجاح العلمانية في الوطن العربي بمدى سيادتها في السلطة العليا إلى الشعب، بل يكون بسيادتها في كلا المستويين على مستوى السلطة وعلى مستوى الشعب، فشرط نجاحها في الوطن العربي هو :[1]

أولا- علمنة المجتمع: يعني بها جورج علمنة إيديولوجية الشعب ككل، والتفتح والقبول بالأخر مهما كانت ديانته يجب احترامها، مع التعدي عليها أن تقوم على رفض وقبول الشرائع في الدين الواحد والتفرقة بينهم، بل تتجاوز هذا للوصول لدرجة التعايش المشترك مع المختلفين دينيا وعرقيا وطائفيا.

ثانيا - علمنة الدين: يقصد به الدين الإسلامي وهو من أحوج الأديان اليوم إلى الفصل فيه بين الزمني والروحي، فالفصل الانقسام الطائفي في الإسلام هو سياسي وليس ديني، فقد كان يدور حول مسألتي الخلافة والإمامة، وحال الخلافة هو مسألة تاريخية، وحال التاريخي قابل للتطور على مر الزمن، وكما نعرف ما هو تاريخي يمكن أن يتغير بمرور التاريخ، لكن بعلمنته وجعله إسلاما روحيا، يمكننا من بلوغ الحداثة بتجاوز كل المشاكل الطائفية المصطنعة.

1 جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، مرجع سابق، ص 93 -94.

المبحث الثالث: رد جورج طرابيشي عن الجابري وحسن حنفي

في إطار الحوار الثقافي ما بين المشرق والمغرب حول العلمانية في أرضنا العربية، كانت هناك أراء متبادلة بين الدكتور حسن حنفي والدكتور محمد عابد الجابري، ولكن الدكتور جورج طرابيشي فتح حوارا نقديا طويلا لثنائي، فاشتبك معهما من خلال كتب عديدة.

المطلب الاول: رد طرابيشي على محمد عابد الجابري :

يعتمد الدكتور محمد عابد الجابري في تعريفه للعلمانية هي: "فصل الكنيسة عن الدولة " والإسلام ليس فيه كنيسة، إذا فالإسلام لا يحتاج إلى علمانية، حيث كان رد طرابيشي عليه كالتالي: أن إستدلال الجابري قابل للطعن في مقدماته الكبرى والصغرى، وفي نتيجته على السواء، فمن حيث المقدمة الكبرى فقد بناها الجابري على حيلة شكلية، بتعريفه لعلمانية على أنها " فصل الكنيسة على الدولة "، فالكنيسة هي جزء من ذاك الكلي الذي هو الدين، فباعتباره أنه تبنى المقدمة الكبرى فمن المنطق أن يتبنى الأكثر كلية، لكنه تجاوزها لكي يصل إلى النتيجة التي رسمها هو، لا على ما يمليه عليه المنطق، لأنه أراد أن يستبعد العلمانية عن الإسلام ككل.

لكن إذا تتبعنا نجد أن ليس للإسلام كنيسة لكن له سلطة دينية، ليس فيه كهنوت لكن فيه رجال دين، نحن لا نطابق بينهم لكن رجال الدين من وظيفتهم القيام على شؤون الدين أي بين الإنسان وشؤون دينه، فلا يمكن على مر التاريخ دين بلا رجال دين، إذن ليس في الإسلام كنيسة ولا كهنوت، لكن فيه سلطة دينية.

أن الدور الذي على عاتق رجال الدين هو القيادة والتوجه السياسي، نفس الشيء في السلطة السياسية في الدول العربية، دائما ما يتدخل الدين في تشريعاتها هذا بالنسبة لنظرة الجابري، لكن طرابيشي كانت له رؤية مخالفة فاستدل على ما قاله الجابري عن العلمانية، أنها فصل الكنيسة عن الدولة في المسيحية وإلغائها كليا في الدين الإسلامي، ويمكن أن نعوضها بكلمة الديمقراطية والعقلانية، فكان رد طرابيشي أن العلمانية لا تعني إلغاء السلطة الدينية، بل تعني فقط فصله عن السياسة، لم يكن ما قدمه هو المساس بحرمة المقدس، بل تعني أن لا يتدخل الدين في السياسة كي لا تدخل السياسة تحت رداء الدين، ولا تتدخل السياسة في الدين ويصبح لدينا تأسيس للدين،وهذا ما ترفضه العلمانية في حد ذاتها.[1]

المطلب الثاني: رد طرابيشي على حسن حنفي

كما ذكرنا سابقا في الفصل الأول أن حسن الحنفي بقوله أن الإسلام لا يحتاج إلى علمانية، ولو سألناه لماذا ؟، كان الرد أنه يعتبر العلمانية منقولة إلينا من الغرب، وإذ

1 جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، مرجع سابق، ص 76 -79.

كان سبب رفضه لها هو أصلها الغربي المسيحي، كما يقول فإذا كان هذا السبب فلم لا نرفض كذلك الديمقراطية والعقلانية باعتبارهما غربيتان كذلك، وإتهمه جورج كذلك بالتحريض الطائفي، حيث يقول الحنفي " قام العلمانيون في بلادنا منذ شبلي شميل وعقوب صروف وفرح أنطون ونقولا عن حداد وسلامة موسى وولي الدين ولويس عوض وغيرهم يدعون إلى العلمانية بهذا المعنى الغربي فصل الدين عن الدولة، الدين لله والوطن للجميع، والملاحظ أنهم كانوا من النصارى وغالبيتهم من نصارى الشام، الذين كان ولائهم الحضاري للغرب، لا ينتسبون إلى الإسلام دينا.[1]

1 جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، مرجع سابق، ص 73 .

خلاصة الفصل:

وفي خلاصة هذا الفصل قد تطرقنا للتعريف بجورج طرابيشي المفكر السوري ومؤلفاته وأبحاثه الكثيرة، ومنظوره للعلمانية في الإسلام والوطن العربي منذ تجلياتها إلى ماهي عليه اليوم، وكيف نستطيع نحن كعرب أن نبلغ بها الحداثة وتنجح معنا، وأن نبلغ بها العلمانية الحقة، كذلك أوردنا في هذا الفصل بحواره الفكري مع المفكرين محمد عابد الجابري وحسن حنفي ، والرد عن ما قالوه لبيان أنها هي الأمل للتطور الفكر العربي.

الفصل الثالث: عوائق تطبيق العلمانية في الوطن العربي

تمهيد :

لعبت عوامل مختلفة في دفع العالم العربي إلى دخول عصر العولمة، من دون استعدادات كافية للتعامل مع التحديات والمخاطر الجديدة، فالعلمانية في الوطن العربي تنطلق من منطلقات أساسية تخص الفرد والمجتمع العربي، حيث هذا الأخير تطور نحو العلمانية بخطوات عملاقة وغير متكافئة، كما أن هناك إشكالية مازالت تواجه العلمانية في الوطن العربي وهي هيمنة الدين على الدولة وعلى المؤسسات القضائية والأخلاق الاجتماعية والرؤية العميقة للإنسان العربي .

سنتطرق بشيء من العمق والاستفاضة في هذا الفصل لهذه لإشكالية العلمانية في العربي عند طرابيشي ومفكرين آخرين، وذلك عن طريق مبحثين :

المبحث الأول: إشكالية العلمانية والدين والمجتمع المدني.

المبحث الثاني: إشكالية مسألتي الخلافة والقومية.

المبحث الأول: إشكالية العلمانية والدين والمجتمع المدني.

بين طرابيشي كيف أن العلمانية ضرورية، باعتبارها آلية جديدة من شانها أن تساهم في عملية الإقلاع الحضاري للمجتمعات البشرية كافة و العربية خاصة، وهذا من أجل القضاء على مشكل الطائفية والعرقية و الحروب في البلدان العربية، معتبرا أن الشرط الجوهري هو فصل المجال الديني عن السياسي و فصل السلطات عن سيطرة و هيمنة المجتمع المدني، وباستيفاء هذا الشرط يستطيع الفرد العربي النهوض من جديد و تحقيق الإقلاع الحضاري الذي انتظره طويلا.

المطلب الأول: العلمانية والدين:

عندما يثار موضوع العلمانية فإنه دائما ما يتم الفصل بين عنصرين هامين هما: "الدين" و" الدولة" وهذا من أجل تسوية العلاقات بين الأديان المختلفة ، كما لها وجها آخر يهم العالم الإسلامي و ذلك من حيث أنها عنصر فاعل و أساسي في جدلية التقدم والتخلف ، هذا ما يجرنا للحديث عن الحداثة وضرورة تبينها للخروج من دائرة التخلف .

ونحى "جورج طرابيشي" منحى "مرسيل غوشيه من قضية الحداثة و بالخصوص السياسية، وأقام غوشيه علاقة بين التحديث والعلمنة فكلاهما يكمل الآخر ويرادفه، فالحداثة تدعوا كما العلمانية إلى ضرورة فصل الدين عن الدولة، وهذا ما تبنته أوروبا عبر مراحل مختلفة من تاريخيا السياسي وبالتالي تحررهم من القيود الدينية التي فرضتها الكنيسة الغربية على عموم أوروبا هذا ما جعل الغرب سباقا نحو الحداثة والتحرر من قيود الدين.[1]

بواسطة هذه القطيعة تجسدت العلمانية وهي ما يمكن أن نطلق عليه اسم العلمنة، التي تستطيع أن نعرفها .... على أنها جهاد في سبيل الدنيا كخيار بديل عن الجهاد في سبيل الآخرة.

دعا طرابيشي إلى ضرورة تبني الحداثة بوصفها آلية البعث الحضاري الوحيدة التي يعتد بها، فإذا ما قارنا الغرب المسيحي مع العالم الإسلامي نجد محور التناقض في إشكالية الحداثة الغرب تبناها فكرا و منهجا، أما العرب فهم يحومون حول حماها دون أن تكون لهم نية الإنغماس فيها، فالنموذج الغربي بسط كل مستويات الحداثة والعلمانية فالحل الوحيد لهذا المأزق الحضاري العربي هو تبني قيم العلمنة والتي بسطها في عشرة مستويات وهي:[2]

1 جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، مرجع سابق، ص 98 - 99 .

2 جورج طرابيشي، هرطقات العلمانية كإشكالية إسلامية، دار الساقي بالاشتراك مع رابطة العقلانيين العرب، بيروت، لبنان، 2008، ص 98 – 104.

أولا- العلمنة الدينية: هنا يبرز كيف كسر مارتن لوثر حواجز الكنيسة الكاثوليكية للإيمان الديني بجعله مسألة شخصية و على العقل البشري تأويل وقراءة هذه النصوص و بهذا اقترن الإصلاح البروتستانتي بثورة فعلية على صعيد محو الأمية وتحرير العقل والفكر من قبضة رجال الدين.

ثانيا- العلمنة الثقافية: كانت ثورة ذات طابع أدبي ثقافي فبوادر التغيير بزغت مع "بوكاشيو" مؤلف الديكاميرون في القرن الرابع عشر، ثم مع "رابليه " المعروف بمؤلفه "غرغنتوا في القرن السادس عشر وبهذا أنعتق الفكر الأدبي من ربقة التصور الديني للعالم وأطلق العنان للروائع الأدبية التي تغوص في عمق الإنسان.

ثالثا- العلمنة اللغوية: كانت بتحرير الشعوب الأوربية من اللغة اللاتينية التي ترمز بشكل مباشر إلى لغة الدين ولغة الكنيسة، واستبدالها باللغات العامية .

رابعا- العلمنة الإنسانية: جاءت هذه التسمية للدلالة على الإنسانيات وهو ما أطلق في سياق العلمنة الثقافية واللغوية و بالتالي إعادة إحياء المجد القديم لكل من الحضارة اليونانية العريقة التي غير مسار الفكر البشري من خلال الروائع الفكرية التي أنتجتها وما أنتجته كذلك الحضارة الرومانية العريقة و التي كان ينظر لهما بأنهما الإرث الوثني المسموم الذي يحرم التفكير فيه أو إعادة طرحه من جديد.

خامسا- العلمنة العقلية: وتمحورت حول تمجيد العقل البشري باعتباره ملكة راقية ومميزة للإنسان وبواسطتها أعيد استكشاف العلوم والمعارف التي طبعت الحضارات السابقة وبالخصوص النصوص الفلسفية التي بسطت على طاولة التشريح العقلي باعتبار الفلسفة هي بالتعريف التفكير بالعقل في العقل، من حيث أن العقل معطى أول ومطلق وبهذا الإعلان الرئاسة العقل كفت الفلسفة عن أن تكون خادمة اللاهوت لتعمل في إمرة العقل وحده وتحت سيادته.

سادسا- العلمنة العلمية: لم تتحقق هذه الثورة العلمية إلا مع الإنعتاق التام من الفكر الخرافي الأسطوري وقد شهدت أوروبا عديد الثورات العلمية لاسيما مع " كوبرنيكوس " و " غاليلي " و داروين وغيرهم من العلماء الذين قلبوا موازين التفكير البشري فبعد اكتشاف كريستوف كولومب للقارة الأمريكية في نهاية القرن الخامس عشر، جاءت الثورة الكوبرنيكية لتزيح الغطاء عن الحقائق العلمية التي حجبتها الكنيسة العقود طويلة لتليها بعد ذلك اكتشافات غاليليو غاليلي وبعده داروين الذي أحدث إنقلابا في موازين الأصل البشري بإجهازه بصورة نهائية على قصة الخلق المعروفة في كل الكتب السماوية، وحررت العقل البشري من الخرافات والأساطير الباطلة التي قبعت على العلم والفكر.

سابعا- العلمنة الطبقية: هي التي أفرزت ظهور الطبقة البرجوازية و التي دعت إلى الانعتاق من القيود الاجتماعية والسياسية والدينية ، فهي مستقلة بذاتها ولذاتها ، و هي منشأ الديمقراطية .

ثامنا- العلمنة القانونية: بدأت بظهور إعلان حقوق الإنسان الذي نصت عليه الجمعية التأسيسية للثورة الفرنسية ليحول المركزية من الله إلى الإنسان، ولينتقل مبدأ السيادة وحق التشريع من الله وخلفائه على الأرض إلى الأمة وممثليها في المجلس النيابي.

تاسعا- العلمنة السياسية: بموجبها ظهرت الدولة القومية أو الدولة وفرنسا كانت سباقة في ذلك، ثم انبثقت عديد الدول في أوروبا و في العالم لاحقا ، وهذا ما كان أن يكون لولا أن ضعفت سلطة الكنيسة وبديهي أن تبلور مفهوم الدولة القومية جاء نتيجة مخاض طويل تمثل أولا في تقلص السلطة الزمنية والرقعة الجغرافية للكنيسة الكاثوليكية الرومانية، ثم ظهور الممالك السلالية التي صادرت من البابا حق الحكم الإلهي وهذه المرجعية الإلهية المعلنة فإن الممالك السلالية قد مهدت التعلمن ولتقومن الدولة في أوروبا.

عاشرا- العلمنة الجنسية: وفيها انعتقت العلاقات الجنسية لكلا الجنسين من ضوابط الخطيئة والعقاب فكل فرد يمتلك الحرية المطلقة على جسده ويحق له أن يفعل به ما يشاء وقد أرجعها جورج طرابيشي إلى الكشوف التحليلة النفسية التي قدمها سيغموند. فرويد في نظرية التحليل النفسي و حفرياته حول اللاشعور وهو الشيء الذي قدم خدمة كبيرة لهذه العلمنة المتمردة هذا ما جعلها تتفتق عن تحرير مزدوج للحياة الجنسية البشرية من ربقة الخطيئة معا، هذه الحرية في إمتلاك زمام هذا الجسد الذي سلط عليه سوط عذاب الخطيئة تحرر من قيود الدين و من حواجز التشدد التي فرضتها عليه الكنيسة، هذه العلمنة أتاحت له فرصة الخروج عن نطاق هذا الدين " فالأصل في الجنس المعلمن هو الإباحة والإباحة تلغي الخطيئة ومفهومها "، غير أنها هي التي أخذت النصيب الأكبر من النقد و التجريم من قبل الكنيسة لحد الآن فالإباحة التي تدعوا إليها هي في الأساس الركيزة الأساسية للتحريم والخطيئة في مختلف الأديان السماوية و الوضعية و إذا ما أرحنا مفهوم الخطيئة أو الحرام يفقد الدين و معه كل سلطة دينية ركيزة حيوية من ركائزه.

من خلال ما عرضاه سابقا حول أشكال العلمنة وما تمخض عنها لاحقا بين طرابيشي أن المعركة الحقيقية في معركة الوعي وتحرير العقل من براثين رجال الدين والإنعتاق من الأوهام التي تقمع العقل البشري .

المطلب الثاني: العلمانية والمجتمع المدني

إن وجود المجتمع المدني يدين بشكل رئيسي في العالم العربي لحقبة العولمة، لكنه بقي أيضا مدينا باستمرار للقوى الكبرى والمجتمعات الحاملة لها، ولم يستطع حتى الآن أن يستقل عنها أو يجد لنفسه القواعد الداخلية المتينة، ولم يعرف مفهوم المجتمع المدني هذا المعنى الذي هو عليه الآن بل تطور عبر المراحل التي مر عليها، مع توماس " هويز " و " جون لوك " تم إحياء الأصل الإغريقي لهذا المفهوم : بينما مع " جان جاك روسو " فقد أصبح معناه أكثر نضجا وأكثر عمقا عن سابقيه ليزيد " فريدريك هيغل تنقيحه أكثر مما جاه به جان جاك روسو" هويز لم يفصل السلطة السياسية عن المجتمع المدني بل كان عبارة عن تصريح لتنقل مبدأ السيادة بمعنى القدرة على السيطرة و التحكم من السماء أي الحكم وفق نظريات الحق الإلهي إلى الأرض وهذا ما يجسد نظرية الحكم في العقد الاجتماعي بمعنى تحقيق مطلقية السلطة للحاكم، بينما جون لوك أقر بوجود حالة طبيعية تستلزم وجود أفراد داخل بوتقة مجتمعية واحدة، وبالتالي هو يقر بوجود مجتمع غير سياسي منفصل عن السلطة الحاكمة : وبالتالي أنتج لوك التوجه الثاني لمعنى المجتمع المدني القائم بذاته و لذاته ، كما سبت جهود كل من روسو و هيغل في نفس منحى لوك إذ ربطوا عملية النشوء الأولى لهذا المجتمع المدني بوجود حالة طبيعية أولى للتجمع البشري.[1]

هذه نبذة عن تطور مفهوم المجتمع المدني، أما في الوقت الراهن فقد غدى الحديث عن المجتمع المدني والدولة ينادي بضرورة الفصل بين أمور الدولة والشؤون الدينية تحت شعار هي التي وليدة الحداثة السياسية.

وقد نحى طرابيشي منحى المفكر الفرنسي موريس باربيه وهذا من خلال قراءته لكتابه الشهير العلمانية "، وقد ركز باربيه في كتابه هذا على ضرورة فصل الدين عن الدولة و التأسيس الدولة لا دينية ووصف طرابيشي هذا الكتاب بالأصيل كونه ربط بين العلمانية و الحداثة السياسية. [2]

العلمانية الحقة هي التي تتعدى فصل الدين عن الدولة إلى فصل الدولة عن المجتمع المدني، فالعلمانية في نهاية المطاف لا تتطلع إلى تحرير المجتمع من الدين، بل إذ تكف يد الدولة عن المجال المجتمعي و عن المجال الديني معا ، تكفل أكبر قدر من الحرية الدينية للأفراد والجماعات معا ففي ظل العلمانية فحسب يستعيد الدين مجال فاعليته في المجتمع .[3]

1 مراد علي عباس، ديمقراطية عصر العولمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، ص 74-75.
2 جورج طرابيشي، هرطقات العلمانية كإشكالية إسلامية، مرجع سابق، ص 207 – 208.
3 المرجع نفسه، ص 114 – 113.

وهذا الفصل بين الدولة والمجتمع المدني هو الذي ساهم في التمييز بين الإنسان كفرد و بين المواطن، وهو ما العكس على حقوق الإنسان والأفراد فرادى وجماعات فحقوق المواطن هي التي يكتسيا الأفراد لكونهم عناصر فاعلة في نسيج المجتمع المدني، فهي تتولد داخل هذا النسيج ولا يمكن أن توجد خارجه بالإضافة لذلك فإن حقوق الإنسان لا تجد لها أثرا إلا في البلدان التي بلغت مراتب عالية من الحداثة السياسية أي فصلت بين السلطة السياسية والمجتمع المدني وقلة في الدول التي بلغت هذا الحد من الرقي السياسي في الفصل بين المجتمع المدني والسلطة والدين، فالفصل بين الدولة والمجتمع المدني بشكل جوهر العلمانية التي هي بدورها انفصال بين الدولة والدين، هذا ما يوجد الدولة التي تستغني عن كل الضمانات الدينية وبالمقابل يتوجب على المجتمع المدني أن يستقل عن الدولة ويترك ملء الحرية للدين وهي بدورها مثل حقوق الإنسان تشترط الفصل بين المجتمع المدني و بين الدولة. هذا ما يكفل الحرية الدينية.[1]

1 جورج طرابيشي، هرطقات العلمانية كإشكالية إسلامية، مرجع سابق، ص 210.

المبحث الثاني: إشكالية مسألتي الخلافة والقومية.

بعد إلغاء الخلافة ونفي عبد المجيد آخر الخلفاء العثمانيين، أحدث هذا القرار اضطرابا داخل العالم الإسلامي ، ووضع الشعوب الإسلامية في حيرة من أمرها نتيجة لزوال هذه المؤسسة التي كانت تمثل رمزا للوحدة الدينية والسياسية للمسلمين،وإن إقدام الكماليين على إلغاء الخلافة جعل بعض العلماء والمفكرين يعبروا عن موقفهم من هذه المسألة التي أثيرت حولها بعض النقاش وكثيرا من الجدل، ومن بين هؤلاء الناقد السوري جورج طرابيشي الذي يرفض مسألة الخلافة على اعتبارها البديل الديني للديمقراطية، وفي الوقت نفسه فقد أقر بموضوعية مشكلة القومية في الوقت المعاصر.

المطلب الأول: مسألة الخلافة

لقد بات الناقد السوري يؤكد على أن المطالبة والدعوة لقيام الخلافة اليوم غير معقولة، ولا يجب النظر لهذه المسألة برؤية مثالية، مستدلا في ذلك بالنموذج التركي والجدل الذي جرى حول الخلافة، ونستعرضه في ما يلي:

أولا- لا فائدة أو منفعة من إقامة الخلافة: في سنة 1924 أقدم مصطفى كمال، ومعه الجمعية الوطنية الكبرى، على إلغاء الخلافة ونفي عبد المجيد آخر الخلفاء العثمانيين، بعد أربعة قرون من توليهم القضاء على نظام الخلافة على مرحلتين، الأولى في الخلافة الإسلامية و قد تم نوفمبر 1922، عندما تم فصل السلطنة عن الخلافة وتحويل الأولى إلى جمهورية والثانية في 03 مارس 1924 بإلغاء الخلافة . وأحدث هذا القرار اضطرابا داخل العالم الإسلامي ، ووضع الشعوب الإسلامية في حيرة من أمرها نتيجة لزوال هذه المؤسسة التي كانت تمثل رمزا للوحدة الدينية والسياسية للمسلمين وإن كانت قد فقدت الكثير من فاعليتها منذ وقت طويل، ولقد كانت لأتاتورك مواقف وأراء من إلغاءه الخلافة، والتي تضمنها نصين فائقي الأهمية أحدهما تصريح صحفي، والثاني نص الخطاب المطول الذي ألقاه على الجمعية الوطنية الكبرى، هذه الأفكار اطمأن لها طرابيشي كثيرا، وسنقف عند بعض المواقف، ومثالا على ذلك:

يقول أتاتورك :" أن أسعد فترة في تاريخنا هي تلك ما كان فيها ملوكنا خلفاء، ولقد اتفق الواحد من سلاطين تركيا أن استخدم قوته ونفوذه وثروته ليسند إلى نفسه الخلافة، كان ذلك محض عرض عارض " ثم يقرر أتاتورك أن النبي محمد لم يأمر بحكم الأمم المختلفة لأن ذلك ليس في مقدور أي حاكم أو رئيس، وإنما أمر النبي بدعوة الأمم وهدايتهم إلى الإسلام.[1]

1 جورج طرابيشي، هرطقات العلمانية كإشكالية إسلامية، مرجع سابق، ص 117.

ثم يضيف أن الخليفة العثماني (في القسطنطينية) لم يكن يحوز على اعتراف أغلب الأقطار العربية والإسلامية الأخرى، مثل فارس وأفغانستان وشمال إفريقيا، إذن فكرة وجود خليفة يحكم جميع الأقطار الإسلامية هي فكرة نظرية مصدرها الكتب، وأما واقعيا فكانت في منطقة محدودة هي بغداد وأخرى في قرطبة. وفي رده على سؤال للصحفي موريس حول ما إذا كانت سياسته ستكون لا دينية فأجاب بالنفي، ذلك أن الشعب التركي بحاجة إلى تدين أكثر بالمعنى الحقيقي للكلمة، فالدين الحق لا يقف أمام تقدم وتطور الدول.[1]

أما في خطابه المطول سنة 1927 أمام الجمعية الوطنية الكبرى بأنقرة، يسترجع أتاتورك ظروف عزل آخر خليفة، حيث صب جام غضبه على الخليفة قبل الأخير محمد السادس لفراره من قصره تحت حماية بريطانية ثم تعيين عبد المجيد أفندي خليفة (روحيا) قبل أن يتم طرده وإلغاء منصب الخلافة وإعلان الجمهورية التركية 1924. وفي هذا الخطاب تم التمهيد لإعلان علمانية دولة تركيا، وحذف المادة التي تنص أن الإسلام دين الدولة، وكان ذلك فعليا في الدستور عام 1928.[2]

إن الخلافة انتهت مع قتل هولاكو الخليفة المستعصم ببغداد، هذا ما قرره أتاتورك في خطابه أمام الجمعية،ثم يقول : " أن الجماعات الإسلامية افترقت منذ قديم الزمان عن بعضها بعضا تحت تأثير مطامع سياسية متعارضة جذريا، وبأن كلا من الأمويين في الأندلس، والعلويين في المغرب، والفاطميين في مصر، والعباسيين في بغداد، قد أنشئوا خلافة أي ملكية على جدة، بل لقد وجدت في الأندلس طوائف من ألف نسمة على رأس كل منها" أمير مؤمنين وراية عقيدة " فهل كان من المنطقي والمعقول التظاهر بجهل هذه الحقيقة التاريخية والتطلع إلى تعيين عاهل تحت اسم الخليفة ليملك على جميع الدول أو الأمم المسلمة، وبعضها مستقل وجميعها تقريبا موضوع تحت حماية أجنبية " .[3]

ويقول كذلك: " ولقد قيدت أمتنا طيلة قرون تحت تأثير تلك الفكرة المغلوطة لكن ماذا نجم عنها، لقد تركت حيثما مرت ملايين الرجال صرعي، هل تعرفون - قلت - ما عدد أبناء الأناضول الذين قضوا في صحاري اليمن القائضة ؟ هل تعرفون الخسائر التي تكبدناها لنحتفظ بسورية والعراق ولنحتفظ بمصر ولنبقى في إفريقيا ؟ أرأيتم إلى ما آل إليه الأمر ؟. [4]

1 جورج طرابيشي، هرطقات العلمانية كإشكالية إسلامية، مرجع سابق، ص 118.

2 حوري بديع الزمان، نقد جورج طرابيشي لنقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم تخصص فلسفة، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2017، ص 414-415.

3 جورج طرابيشي، هرطقات العلمانية كإشكالية إسلامية، مرجع سابق، ص 126.

4 المرجع نفسه، ص 127.

ويفهم من كلام أتاتورك أن الدعوة إلى قيام الخلافة ينقضه الواقع الدولي الجديد، فالدولة بما هي كذلك تناقض مع إطار ونظام الخلافة، فلو سئل مثلا على سبيل الجدال دولتا فارس وأفغانستان المسلمتان عما إذا كانا مستعدتين للاعتراف بسلطة الخليفة ؟ وهل ذلك بالأخرى في وسعهما ؟ الجواب لا، لأن ذلك يناقض استقلال الدولة وسيادة الشعب.[1]

وحينما سئل: هل ستكون للدولة الجديدة دين ؟ أجاب " أن دولة تحوز بين رعاياها عناصر تنتمي إلى أديان مختلفة دولة ملزمة بأن تتصرف بعدل وعدم تحيز تجاه كل واحد منهم وملزمة من قبل محاكمها بأن تعامل الأجانب كما رعاياها بعدالة واحدة .[2]

ثانيا - ردود الفعل الدولية من إلغاء الخلافة : رغم أن الخلافة طرأ عليها بعض من معالم الضعف، إلا أن قرار إلغائها وُصف من قبل الكثير بالأمر الجلل الذي قضى على آخر كيان جامع للمسلمين حول العالم، حيث أن المسلمين في الهند وباكستان وبنغلادش ومحيطهم هم أكثر المسلمين الذين غضبوا حكومات وشعوب تجاه قرار إلغاء الخلافة وحاولوا إعادتها دون جدوى.

وفي الحجاز فقد كان الحال مختلفًا، حيث أن الشريف حسين وابنيه "فيصل وعبد الله" المنقلبين على الدولة العثمانية في بلاد الحجاز، فرحا من جراء القرار ووجدا في ذلك فرصة لإعلان الخلافة، ولكن فرحتهما لم تدم طويلًا إذ قضى آل سعود على مملكتهما، وكذلك في مصر فقد أراد الملك "فؤاد" آنذاك استغلال هذا الحدث لصالحه، لتتويج نفسه خليفة للمسلمين، وقام عام 1926 بدعوة عدد كبير من وجهاء المسلمين حول العالم لإقامة مؤتمر القاهرة للخلافة، ولكن عندما لم يجد أي مساندة له داخل المجتمع المسلم تراجع عن حلمه وتخلى عن محاولات كسب تعاطف المسلمين في الدول الأخرى.

أما الشعوب العربية فقد أبدت على لسان كتابها وأدبائها ومثقفيها سخطها الشديد على هذا القرار، ورأى البعض في مصطفى كمال أتاتورك خليفة بديلا للدولة العثمانية ولكن بعد إلغائه للخلافة وإعلانه الجمهورية العلمانية، هجاه الكثير من الشعراء والمثقفون العرب.

ومن ناحية الدول الغربية فقد باركت لأتاتورك هذه الخطوة، وأشادت عبر الصحف والمجلات ، بما يفعله أتاتورك، مشددةً على أن هذه الخطوة هامة لتحقيق تركيا مستوى عاليا من الحداثة والتقدم.

1 حوري بديع الزمان، نقد جورج طرابيشي لنقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 415.
2 جورج طرابيشي، هرطقات العلمانية كإشكالية إسلامية، مرجع سابق، ص 129.

وفي الصعيد الداخلي، فقد خرج الكثير من وجهاء المجتمع التركي ليعبروا عن اعتراضهم على هذا القرار، ولكن مواجهة العسكر القاسية لهم دفعتهم للتراجع عن اعتراضهم، ولم ينتهِ الحال بهم على ذلك، فقد قدموا الكثير من العلماء والوجهاء شهداء في محاكم الاستقلال التي كانت تعدم كل شخص يُبدي اعتراضه على أي قرار يتخذه مؤسسو الجمهورية التركية، سواء كان هذا القرار يلبي مطالب الشعب أو لا يلبيها، لأن الهدف الأساسي لمؤسسي الجمهورية التركية في تلك الفترة كان هو القضاء على المعالم الدينية ونشر العلمانية داخل مؤسسات الدولة والمجتمع، وكانوا يرون أن ذلك الهدف الذي سيحول بلاد الأناضول إلى بلاد غربية حديثة متطورة يسمح لهم بالقضاء على أي عائق يظهر أمامهم.

ومنه نلاحظ أن مسألة إلغاء الخلافة لم تكن أبدا مسألة تركية داخلية بل كانت محل اهتمام ورغبة من طرف دول عديدة عربية وإسلامية وحتى غربية، ما يؤكد أن القضية أضحت منذ القدم محل متاجرة سياسية، حيث وصل طرابيشي إلى النتيجة التي انتهى إليها جورج قرم في بحثه عن سياسة الدول العظمى من أن " التلاعب بالسيكولوجيا الدينية احتل على الدوام حيزا كبيرا في لعبة الدول الغربية في الشرق الإسلامي ".[1]

المطلب الثاني: مسألة القومية

تناول طرابيشي مسألة تعامل الدول العلمانية مع القوميات الأقلية، بنوع من الإثارة حيث أشار أن العلمانية لأول مرة تسجل فشلا في تحقيق الانسجام والتوافق المجتمعي في تلك الدول، وموضحا العوائق التي تعترض الدولة العلمانية في العصر الحديث، وأهمها طبعا :

ومن المفارقة أن الدول العلمانية الحديثة: " متسامحة على الصعيد الديني ومتعصبة على الصعيد القومي، بينما كانت الإمبراطوريات الدينية في القرون الوسطى على تعصب ديني وتسامح قومي ".[2]

إن من أسباب هذا التعصب القومي في الدولة الحديث هو قيامها في الأساس على الفكرة القومية، أي الانتساب إلى عرق أو لغة أو أثنية متمايزة، إن علمانية الدولة لا يمنعها من ممارسة ظلم على الأقليات العرقية، خصوصا إذا كانت هذه العلمانية مفروضة من فوق، وتفتقد إلى توأمها الديمقراطية كما في الحالة التركية. يمثل الباحث على قوله ذلك بالمحنة الكردية وهي أقلية قومية سنية تتوزع في ثلاث دول شمولية (تركيا - إيران - العراق).[3]

1 جورج طرابيشي، هرطقات العلمانية كإشكالية إسلامية، مرجع سابق، ص 132-135.

2 المرجع نفسه، ص 190.

3 حوري بديع الزمان، نقد جورج طرابيشي لنقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 418.

لقد كان تعامل تركيا العلمانية الأتاتوركية مع الأقليات المغايرة لقوميتها يتميز بالتطرف والاستبداد، حيث حظرت كل أشكال التعبير عن الذات لتلك الأقليات، كالتكلم باللغة الكردية، مما نتج عنه وقوع مذابح ضد الأكراد ومحاصرتهم ورفض وجودهم، وقد صرح وزير خارجية تركيا توفيق رشيد في عهد أتاتورك أن الأكراد " ... مثلهم مثل هنود أمريكا، فإن عليهم أن يضمحلوا من الوجود ".[1]

وليس بإمكاننا التوقف عند عذابات الأكراد التي لاقوها بسبب إفصاحهم عن التشبث بهويتهم والتي وصفها طرابيشي بأحسن وصف في مقالته، مع ذكره لمسار ومال تلك القضية. حيث ظهر للوجود حزب العمال الكردستاني سنة 1978 كقوة معارضة ثورية مسلحة، وهذا بعد سلسلة من الانتفاضات الكردية على الدولة التركية، لكن ما يميز حزب العمال الكردستاني قوته وانتشاره، ومع ذلك كانت تكلفة الحرب باهظة جدا من كلا الجانبين : الجيش التركي وعناصر حزب العمال، إضافة إلى هلاك آلاف المدنيين من أهالي القرى الكردية، قبل أن يعلن الحزب تخليه عن العمل المسلح ودعوته إلى الدخول في مفاوضات مع السلطات التركية سنة 1995.

ولقد أورد طرابيشي بعضا من الحقائق والحلول للمعضلة الكردية، منها تحديد أصل الصراع القومي هذا من كلا الجانبين، مستفيدا من دراسة الباحثة جاكلين سمالي في كتابها : أجريمة أن تكون كردي؟ إلى أن الشعور القومي التركي فرضته النخبة العلمانية الحاكمة المسيسة، كأتاتورك وغيره، وأما الشعب البسيط فكان يتعقل نفسه وانتماءه بمعايير دينية مثلما هو الحال بالنسبة للقومية الكردية التي هي من صنع النخبة المثقفة في مجتمع مازال يحمل في صفاته الغالبة سمة مجتمع قبلي ورعوي مشدود بقوة إلى التقاليد الدينية.[2]

وهذا يعني يجب عدم تدخل السياسيين النخبويين والإيديولوجيين في معيشة الناس وتركها على فطرتها، لأنهم كلما تدخلوا في تحديد مصير الشعوب إلا وحلت الكوارث، والبديل هو إشاعة قيم الديمقراطية وحقوق الإنسان والتعايش المشترك.

من جهة أخرى، فلئن كان العرب يشكلون قومية واحدة، فإنهم مع ذلك يتفرقون في دول كثيرة يُعادي بعضها بعضا، ولهذا ليس من المؤكد توحد أكراد العراق وتركيا وإيران في دولة واحدة بعد حصولهم على الاستقلال، إضافة إلى اختلال توازن القوى بين الشعب الكردي والدول المعنية، لم يبق - في اعتقاد طرابيشي - إلا عقد مؤتمر مشترك تعقده القوى الديمقراطية المحلية التركية والإيرانية والعربية والكردية يتم فيه التفاهم وإحقاق حقوق الشعب الكردي.

1 جورج طرابيشي، هرطقات العلمانية كإشكالية إسلامية، مرجع سابق، ص 193.

2 المرجع نفسه، ص 203

وهذا الحل الأخير من لدن مفكرنا المعلق على القوى الديمقراطية الداخلية في تلك الدول ينتقل من عقد الأمل على الدول الشمولية وغير الديمقراطية، إلى القوى المدنية الديمقراطية المحلية وهو اعتراف منه على أهمية دور الشعور الديمقراطي في الدولة الحديثة، وهذا بعد أن كان يرى في العلمانية وحدها علاجا لجميع أمراض الدولة العربية التي تعيقها نحو ولوج عالم الحداثة.

إذن ليس من الجيد أن يوضع سكان الدول العربية بين اختيار الديمقراطية أو العلمانية، أو أيهما يطبق أولا ؟ ومع ذلك ترشح أن تكون الديمقراطية أبسط فهما وأكثر قبولا من طرف غالبية الشعوب على الرغم من أن وحدها لا تكفي، إذن المدخل قد يكون ديمقراطيا على علاته.

كان طرابيشي يدرك أن الطريق المؤدي إلى النهضة العربية أو الدولة العربية العلمانية الحديثة ليس بساطا مفروشا بالزهور، إنما هو طريق وعر فيه عوائق كثيرة، منها ما يعود إلى طبيعة العلمانية في حد ذاتها كمشكلة طغيان الشعور بالقومية موازاة مع ضعف للحس الديمقراطي، وفيها ما يعود إلى مقاومة جماهيرية شعبية متأثرة بالرواسب والمشاعر الدينية السابقة على الدولة العلمانية، إلى غيرها من المشاكل.[1]

ومن المفيد نقل تجربة المفكر السوري الآخر ياسين الحافظ في موضوع القوميات والدولة حيث لا ينفصل إدراكه لمعضلة التأخر التاريخي، لأن الأولى مظهر للثانية، فالمجتمع الذي يعاني نقصا في الاندماج القومي مجتمع متأخر بالضرورة، ذلك أن هذا التأخر ليس شيئا آخر سوى عجز المجتمع عن تحقيق الشروط الأساس لتقدمه، وهو التوحيد القومي المجتمع المتأخر هذا سوى المجتمع العصبوي (العصبية) أي المجتمع الذي يعاني نقصا حادا في الاندماج الاجتماعي بسبب إنقساميته، وهو المجتمع الذي تأخذه تناقضاته إلى التعبير عنها في صيغة حروب أهلية طائفية أو عشائرية أو ما شاكل ذلك.[2]

1 حوري بديع الزمان، نقد جورج طرابيشي لنقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 419-420.

2 عبد الإله بلقزيز، من النهضة إلى الحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2009، ص 230

خلاصة الفصل

بعد تطرقنا في هذا الفصل إلى العلمانية في الوطن العربي، والعوائق التي تحول دون نجاحها من منظور جورج طرابيشي، يمكننا القول أن العلمانية في الوطن العربي، ظهرت إرهاصاتها الأولى للعلمانية في لبنان وسورية ثم مصر وتونس خلال القرن التاسع عشر، ولئن وجدت العلمانية في أروبا رواجا كبيرا بسبب تحقّق جميع شروطها السياسية والإجتماعية والثقافية، فقد قوبلت في الوطن العربي برفض شديد لافتقارها الى مقدّمة سياسية وحاضنة إجتماعية وتهيئة ذهنية، وبديل حداثيّ وحليف عامّ إجتماعي له المصلحة في نجاحها، ذلك هو الفرق بين العلمنة السطحية وبين النظر الى العلمانية كمجرد تظاهرة فرعية من عملية عقلنة المجتمع ككلّ.

فالعلمانية تبقى في حاجة الى حامل اجتماعيّ لا يضمن المساواة في السياسة فحسب بل يؤسّس الى إجماع جديد في الاقتصاد والثقافة أيضا، ذلك هو الأساس المادّيّ المتين الذي تقوم عليه العلمانية حيث النهوض الحضاريّ العامّ شرط عامّ لنجاحها.

الخاتمـــة

الخاتمة

لقد اعتبر جورج طرابيشي أن العلمنة في مجتمعاتنا ليست فقط ضرورة مسيحيّة كونها أقليّة دينيّة بل أيضاً حاجة إسلاميّة لما هناك من أقليات إسلاميّة كثيرة في العالم العربي كانت ولا تزال عرضة للقمع والقتل والتشريد والاضطهاد.

لهذا ومن خلال هذه الدراسة حاولنا الإجابة على الإشكالية الرئيسة والمتمثلة في هل يمكن تطبيق العلمانية في الفكر العربي المعاصر مع المحافظة على القدسية الدينية للدول بإعتبارها إرث غربي عند جورج طرابيشي؟، وذلك عن طريق تسليط الضوء على موقف جورج طرابيشي من العلمانية وسبل نجاح تطبيقها في الوطن العربي خاصة أنه إعتبرها السبيل الوحيد للنهوض الحضاري.

ومن خلال قيامنا بهذا البحث، يمكننا تلخيص ما توصل اليه بالنقاط الآتية:

- إن مفهوم العلمانية في الخطاب العربي المعاصر يعد من المفاهيم الملتبسة والمشوشة وليس له دلالة محددة على الرغم من أن معناه قد استقر وتحدد في الفكر الغربي.
- أن العلمانية ذو معنى سلبي مما دعا بعض الباحثين الى المطالبة باستبدالها بمصطلح آخر، بينما دعا آخرون الى التخلي عنها بوصفها دخيلة على الفكر العربي.
- تبين لنا من خلال البحث أن جورج طرابيشي إستند في تأصيله للعلمانية في الفكر الاسلامي على حديث النبي محمد (ص) المتعلق بحادثة تأبير النخيل، ومن خلال تتبعنا لهذا الحديث فإننا نبدي تحفظنا عليه لأنه حديث آحاد، ويتنافى والنصوص القرأنية.
- إن طرابيشي لم يكن صحيحا في وصف الانقسام الطائفي في الإسلام حيث أرجعه سياسي وليس دينياً ومداره مسألة الخلافة، لكن الصواب فيما نرى أن مسألة الخلافة هي في الأصل مسألة دينية وليس سياسية.
- أن الصراع الطائفي نشأ بأحقية من بخلافة رسول الله، حيث ترى الشيعة أن الخلافة هي أصل من أصول الدين فهي إذن في صلب العقيدة الشيعية، بينما تقول السنة أن الخلافة هي شورى بين اهل الحل والعقد.
- كذلك أخذنا على طرابيشي قوله بأن لا مسلك لنا ولا مخرج من وهدة التخلف والتعصب والسقوط في الهمجية سوى العلمانية، وهذا يعني الانسلاخ من أهم خاصية للمجتمعات العربية وهي الإسلام، لذا نعتقد أن الخروج من التخلف والتعصب والهمجية هو ليس في التمسك بالعلمانية، بل التمسك بالدين الحقيقي الدين الذي يدعو الى الانطلاق في الجو العلمي، الدين الذي يعطي مكاناً مرموقاً للعلم والعلماء وبهذا نرتقي في سلم التطور والحضارة والمدنية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا - قائمة المراجع باللغة العربية

❖ الكتب

1. أ .م .د زياد جهاد حمد، الفكر السياسي عند المفكر عابد الجابري، مجلة كلية القانون والعلوم السياسية، الجامعة العراقية، العدد 4، ص 174- 175.
2. أحمد قادوح، العلمانية في الإسلام، دار السيرة،ط1، بيروت، لبنان، 1995.
3. تاريخ البشرية ، المجلد السادس ، ج 2. ترجمة :عثمان نويه وآخرين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1971.
4. جمال فؤاد خليفة، العلمانية وخطرها على المجتمعات الإسلامية، جامعة الازهر، القاهرة، مصر، 2021.
5. جورج طرابيشي هرطقات العلمانية كإشكالية إسلامية، دار الساقي بالاشتراك مع رابطة العقلانيين العرب، بيروت، لبنان، 2008.
6. جورج طرابيشي، هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، دار الساقي بالاشتراك مع رابطة العقلانيين العرب، بيروت، لبنان، 2006.
7. جون هرمان راندال تكوين العقل الحديث ، ترجمة د . جورج طعمة ، ج 1 ، دار الثقافة - بيروت ، 1965.
8. د .حسن حنفي، من العقيدة إلى الثورة :النبوة - المعاد ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، 1988.
9. د .صادق جلال العظم ما بعد ذهنية التحريم ، ط 2 ، دار الهدى للثقافة والنشر ، دمشق 2004.
10. د .عزيز العظمة العلمانية من منظور مختلف ،مركز الوحدة العربية، ط1،بيروت، 1992.
11. د .فؤاد زكريا، التفكير العلمي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 2004.
12. د .فؤاد زكريا، الحقيقة والوهم في الحركة الإسلامية المعاصرة ، دار الفكر ، القاهرة 1986.
13. د .مي سمير عبده المتولي :العلمانية في الفكر العربي والإسلامي المعاصر ، المكتب العربي للمعارف، ط1، القاهرة، 2013.
14. د. أنور الجندي، سقوط العلمانية،دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 1، 1990.
15. د. شبلي العيسمي :العلمانية والدولة الدينية ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد . 1986
16. د. فؤاد زكريا الصحوة الإسلامية في ميزان العقل ، ط 1، دار الفكر للدراسات والنشر ، القاهرة - باريس ، 1989.
17. د. محمد البهي، الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 1، 1981.

18.د. محمد البهي، العلمانية والاسلام بين الفكر والتطبيق، مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ط 1، 2019.
19.د. محمد عمارة، نهضتنا الحديثة بين العلمانية والإسلام، دار الشروق، القاهرة، 1996.
20.د. محمد مصطفى الشناوي د .خالد إبراهيم حسب الله المذاهب المادية جذورها وتطورها دراسة نقدية ،1997 .
21.دونوروا ألبير بايه، من الفكر الحر إلى العلمنة، ترجمة: د. عاطف علبي، ط 1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1986.
22.رون هالبير، العقل الاسلامي أمام تراث عصر الأنوار في الغرب (الجهود الفلسفية لمحمد أركون)، ترجمة جمال شحيد، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق ، سورية ، 2001.
23.سفر عبد الرحمان الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار الهجرة، السعودية، 1987.
24.سفر عبد الرحمان الحوالي، وباء العلمانية، مكتبة منار السبيل، ط1، القاهرة، مصر، 1989.
25.عبد الإله بلقزيز، من النهضة إلى الحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 1، 2009.
26.فرج فودة :حوار حول العلمانية ، دار المستقبل العربي ، القاهرة ، 2005.
27.كمال عبد اللطيف، مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط1، بيروت، 1992 .
28.كريم سيد محمد محمود ، معجم الطلاب الوسيط دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 2006.
29.محمد أركون، الإسلام أوروبا الغرب، رهانات المعنى وارادات الهيمنة، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي بيروت، لبنان، ط2 ،2001.
30.محمد أركون، العلمنة والدين الإسلام المسيحية الغرب، دار الساقي بيروت،، ط3 ، لبنان، 1996.
31.محمد أركون، الفكر الاسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي ،ط2 ، 1996 .
32.محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1، الجزائر ،1993.
33.محمد أركون، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح المركز الثقافي العربي، ط2، 1996.
34.محمد أركون، تعقيب على بحث أنطوان فرغوث، الدين والعلمنة في أوروبا، الدار التونسية للنشر، تونس،1985.
35.محمد عابد الجابري، اشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت،1988.
36.محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز الدراسات الوحدة العربية،بيروت، ط 1 ،1996.

37.محمد عابد الجابري، في نقد الحاجة إلى الإصلاح، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط 2005،1.
38.مراد علي عباس، ديمقراطية عصر العولمة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1.
39.مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2009.
40.مصلح الصالح الشامل (قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية)، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، الرياض، ط 1، 1999.
41.منير البعلبكي، المورد (قاموس انجليزي عربي)، دار العلم للملاين، بيروت، لبنان، ط 1، 2000.
42.نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني ، ط 2 ، سينا للنشر القاهرة ، 1994.

❖ المذكرات والرسائل

1. جورج طرابيشي، العلمانية وبذورها في الإسلام، محاضرة أيار التذكارية 2005، الجامعة الأمريكية في بيروت، كلية الآداب والعلوم، برنامج أنيس المقدسي للآداب.
2. حوري بديع الزمان، نقد جورج طرابيشي لنقد العقل العربي عند محمد عابد الجابري، أطروحة مقدمة لنيل دكتوراه العلوم تخصص فلسفة، جامعة باتنة 1، الجزائر، 2017.

❖ المواقع الالكترونية

1. https://www.daralsaqi.com/books/author/6, 02/05/2024, 10:00.